

آثار الابتعاث العلمي

على العقيدة والسلوك

د/علي بن عمر بن محمد السحيباني

الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب

المعاصرة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

في جامعة القصيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

إن مما زاد وانتشر في بلادنا -المملكة العربية السعودية- الابتعاث إلى بلاد الغرب لأجل التعليم، وهذا الكم الهائل من الابتعاث وطلابه بحاجة ماسة إلى دراسات متنوعة في كافة مجالاته، وإن كان الأولى في هذه الأبحاث والدراسات سبق مثل هذا التوجه والابتعاث الكبير، أما وأن الأمر قد وقع فلا بد من النظر فيه ودراسة آثاره النافعة والضارة، إذ ليس من الصواب أن يرسل قوام المجتمع وروحه إلى بلاد غربية تخالف مجتمعات الإسلام عقيدة وثقافة وسلوكاً وحضارة، دون التعرف على حاجة البلاد لمثل هذه الخطوة، والمتابعة البليغة لهؤلاء المبتعثين، والسعي الدائم لمعرفة الآثار الإيجابية لهذا الابتعاث ومحاولة تطويرها، والنظر في الآثار السلبية ومحاولة تقويمها أو تلافيها.

والمطلع على ما يقال ويكتب في هذا الموضع يدرك أن الآراء متفاوتة بل متناقضة، فهناك المؤيد والمعارض، والكاتب على بصيرة وتفهم وإطلاع، والمقلد والملفق أو حسب ما يُراد منه، فمن الكتاب من انتقد الأمر جملة وتفصيلاً، وذكر أن الابتعاث من معاول تقويض الأمة وإفسادها وتضليل فكرها ومعتقداتها، وبعض هؤلاء قد تنقصهم الموضوعية، أو يشوش أفكارهم الاطلاقات العامة، وآخرون رأوا أن الابتعاث هو المنقذ للأمة والآخذ بيدها إلى العزة والتمكين، وهؤلاء الطائفة لا يلزم أنهم ينطوون على عدم حسن النية، بل تجد الكاتب

البسيط الذي لا يحسن التفهم لما يكتب أن قلنا أنه يعرفه أصلاً، بل أبصر أمة تكتب فجاراها وتبع أفكارها، وآخرون على بصيرة من أمرهم يريدون أن يُحسنوا القبيح ويعرفوا المنكر ما أردوا بالعباد والبلاد خيراً.

والحق أن كلا الطائفتين تبتعد عن الموضوعية في الحكم على هذا الابتعاث وآثاره، والحكم على الشيء فرع عن تصوره.

ولما رأيت هذه المفارقات في وجهات النظر حول هذا القضية الكبيرة التي ما تركت بيت مدر ولا وبر في بلادنا إلا وأصابنا منه، رأيت تجلية ما غاب وغمض على مريد الحق من الكتاب، والتوجيه والنصح لمن غلبه هواه فأسرف على نفسه وأتمته على بصيرة، يحدوني لهذا الأمر قربي من الابتعاث والمبتعثين ومعرفتي بأحوال الطلاب وسماتهم وأهدافهم في الابتعاث ولماذا الإخفاق وكيف النجاح وما هي آثار هذا الابتعاث عليهم حسناً وسوءاً^(١).

ولم اكتفي بالاستناد إلى هذه الخبرة فقط بل حرصت على الزيارات المتتابعة للطلاب في الأندية والمحاضن التعليمية، ورأيت من تمام المعرفة لحال الطلاب وضع استبانة يفصح ويصرح فيها الطالب بما قد لا يستطيع قوله مشافهة عن آثار هذا الابتعاث عليه.

لما تقدم رأيت أن من المناسب أن أكتب بحثاً في هذا الموضوع أجلى فيه ما غمض من أمر الابتعاث، أكشف فيه آثاره على الطالب

(١) حيث عملت بملحقيني أستراليا ونيوزلندا قرابة الأربع سنوات، مما أفادني قريباً ومعرفة بالمبتعثين وأحوالهم.

وأتمته، ناهجاً نهج الموضوعية وقول الخبير المطلع المدرك لأبعاد هذا الابتعاث.

وكان من أهم ما يبحث ويُعنى بالدراسة عقيدة المبتعث وسلوكه، وأهم الجوانب المؤثرة فيها إيجاباً وسلباً، لذا رأيت البحث في هذا الجانب المهم فأسميت بحثي: آثار الابتعاث العلمي على العقيدة والسلوك.

جاهداً ببذل الوسع في توضيح أهم آثار الابتعاث على عقيدة المبتعث وسلوكه، ساعياً إلى توجيه هذا المشروع الابتعاثي بتوصيات أرى من الأفضل أخذها بعين الاعتبار، حتى يؤتي هذا المشروع ثماره على أطيب حال وأقومه، وتجنّي الأمة منه ثماراً طيبة مباركة.

وكان عملي في هذا البحث وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول: مقدمات تمهيدية:

المقدمة الأولى: لمحة موجزة عن الابتعاث وتاريخه.

المقدمة الثانية: منزلة العلم في الإسلام.

المقدمة الثالثة: في الضوابط العامة للابتعاث.

المبحث الثاني: الآثار العقدية في الابتعاث.

المطلب الأول: البيئة وأثرها على المعتقد.

المطلب الثاني: المعتقدات والأفكار.

المطلب الثالث: التشبه بالكفار.

المطلب الرابع: الولاء والبراء.

المبحث الثالث: الآثار السلوكية في الابتعاث.

المطلب الأول: في السلوك الاجتماعي.

المطلب الثاني: في فعل المنهيات وترك الواجبات.

المطلب الثالث: التغيير في القيم والأخلاق.

الخاتمة: وفيها أهم التوصيات.

الفهارس المهمة للبحث.

ويأتي هذا البحث ليس منعاً لفكرة الابتعاث، بل لتوجيهها للتي هي أقوم، ومعرفة الخطأ وتقويمه والصواب والمحافظة عليه وتقويته، يعد من أهم اللبانات في بقاء هذا المشروع الابتعاثي الكبير، وجني أنفس المكاسب منه، ساعياً لإيضاح الآثار المترتبة على الابتعاث عقدياً وفكرياً وسلوكياً واجتماعياً، حتى تساعد على كشف الواقع على حقيقته، بعيداً عن التهويل والتهوين من شأن اختلاف العقائد والأفكار والبيئات. هذا وأنهى هذه المقدمة بشكر الله سبحانه وتعالى أن يسر لي هذا البحث ووفقني لإتمامه، وأحمد الله سبحانه وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وأسأله التوفيق في الآخرة والأولى، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه الدكتور/علي بن عمر السحيباني

ali@suhaibani.net

المبحث الأول

مقدمات تمهيدية

المقدمة الأولى: لمحة موجزة عن الابتعاث وتاريخه.

من المهم قبل الدخول في الحديث عن موضوع الابتعاث، أو أي مناقشة لقضاياها، لا بد أن نطلع ولو على عجل عن بدايات الابتعاث، والمراحل التي سارت عليها برامجه، إذ بدأ الابتعاث في المملكة العربية السعودية في عام ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧م وذلك قبل أن يتم توحيد المملكة العربية السعودية على يد مؤسسها الملك عبد العزيز رحمه الله.

وكانت جهة الابتعاث للبعثة الأولى مصر، بإرسال أربعة عشر تلميذاً من الحجاز للتعليم في الخارج ستة منهم من مكة، وثلاثة من المدينة، وثلاثة من جدة، واثنان من الطائف.

ولتنظيم البعثات وإعداد المبتعثين أنشئت في عام ١٣٥٥هـ مدرسة تحضير البعثات، والتي كان الغرض منها إعداد الطلبة الذين يرغبون الدراسة في الخارج، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات، حتى أنشئت المدارس الثانوية وقامت بدورها بالإعداد للجامعات الداخلية والخارجية، وكان أول ابتعاث إلى خارج البلاد العربية في نفس العام الذي افتتحت فيه مدرسة تحضير البعثات فأرسلت أول بعثة إلى سويسرا، وهي مكونة من طالبين، لدراسة الحقوق والعلوم السياسية، كما تم في نفس السنة ابتعاث طالب واحد فقط إلى استنبول لدراسة الهندسة.

استمر عدد الطلاب في ازدياد ليصل عام ١٣٩٦هـ إلى ١٩٢ طالباً، ومع إنشاء وزارة المعارف عام ١٣٧٢هـ اتسع باب الابتعاث وأخذت الأعداد تتذبذب بين الزيادة والنقصان حسب افتتاح كليات

وأقسام جديدة في جامعات بالمملكة، وفي نهايات القرن الرابع عشر الهجري بدأت أعداد المبتعثين بالتزايد خاصة نحو الولايات المتحدة الأمريكية، تزامن هذا مع الطفرة المالية آن ذاك، إذ وصل عدد الطلبة المبتعثين في عام ١٣٩٧هـ إلى ٩٠٩٦ مبتعثاً ٨٨٠ منهم من الطالبات، والأعداد حتى عام ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)، تتراوح بين ١٠,٠٠٠ إلى ٤,٠٠٠ مبتعث، بعد ذلك جاءت نقلة جديدة حيث صدر برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وفقه الله للابتعاث، والذي هو مستمر إلى يومنا هذا حيث زاد المبتعثين ودول الابتعاث^(٢).

ويتضح مما سبق أن الابتعاث في المملكة مر بعدة مراحل أهمها:
المرحلة الأولى: وكان الابتعاث فيها مقصوراً على الدول العربية والإسلامية، كما أنه خاص لمرحلة البكالوريوس إذ الحاجة إليها داعية في ذلك الوقت.

المرحلة الثانية: بدأت مع خطة التنمية الخمسية الثانية عام ١٣٩٥هـ، وتم فيها التوسع في الابتعاث من الناحيتين العلمية، ليشمل جميع مراحل التعليم العالي، ومن الناحية الدولية، ليشمل دول أوروبا وأمريكا.

المرحلة الثالثة: وفيها تنظم أمر الابتعاث ليقصر فقط على الدراسات العليا، ونتج عن ذلك تقاصر عدد المبتعثين، حتى جاءت أعوامنا القريبة هذه فتجلت.

(٢) انظر: الدراسة في الخارج. ص ١٩

المرحلة الرابعة: إذ فتح الباب على مصراعيه ليشمل عامة التخصصات، وكأفة مراحل التعليم العالي، وكثير من الدول، ومن بداية هذه المرحلة والأعداد في تزايد لتصل الآن قرابة مائة وخمسون ألف طالب وطالبة^(٣).

وحول هذا العدد الكبير للابتعاث، فإن الغيورين من أمة الإسلام يرفضون ثقافة الغرب ومفاهيمه، لكنهم يرحبون بالتطور المادي والتقني، إذ هو مما يدعو إليه الشرع الحكيم من الحث على العلم وتطويره، وعلو شأوي أمة الإسلام، وترك الاعتماد على الغرب، وبهذا وجد في بلادنا اتجاهين:

الأول: من يدعو بلادنا أن يأخذ بأسباب القوى، من التحصيل والمعرفة، والريادة العلمية، وإن اضطرت إلا الاستفادة من الغرب في حدود المادة والتقنية فحسب، على أن يكون ذلك سبيلاً للاستقلال والاستغناء.

والاتجاه الآخر: اتجاه التبعية التي يدعوا إلى أن تنهل بلادنا والأمة جمعاء، من ثقافة الغرب وفكره ومفاهيمه، ويرى أن طريقة التحضر والتقدم مرهون بذلك.

وهذان الاتجاهان من خلالهما تتحدد النظرة إلى الابتعاث، فالاتجاه الأول يرى أن الابتعاث وسيلة لتحصيل المعرفة تقتضيها حاجة بلادنا، والاتجاه الآخر يرى أن الابتعاث هدف في حد ذاته، يقصد منه الأخذ بثقافة الغرب الفكرية والمادية قبل علومها.

(٣) انظر: التعليم العالي في المملكة، بداياته وتطوره ص ١٦، والطلبة المسلمون في الغرب بين المخاطر والآمال ص ٢٦.

ولعل الفرق بين هذين الاتجاهين ظاهر، فالابتعاث العلمي هو ما تكون الأمة بحاجة لتحصيل العلوم النافعة، ونقلها إلى بلاد الإسلام، عبر عدة أعدوا إعداداً علمياً وثقافياً.

أما خلاف ذلك من الابتعاث الذي يكون مقصوداً لذاته غير مراعاة فيه حاجة الأمة ولا مراقباً فيه المبتعث، ولا محمياً من ضلالات الفكر والسلوك، فهو ابتعاث محل نقد من كل عاقل يعتز بثقافته وهويته.

وإني على قناعة تامة أننا نستطيع توجيه هذا البرنامج العظيم للابتعاث، أو التخفيف من أخطائه، لأننا بحاجة ملحة إلى كثير من العلوم التي برع فيها القوم؛ ولكن أن يكون ذلك على حساب الفكر والمعتقد أو ذريعة إلى ذلك فلا، إذ لا بد من ضبط لذلك وأن يُنظر إلى الأمر على أنه ضرورة تُقدَّرُ بقدرها؛ وأحقُّ ما بُذلت فيه الأموال هو التعليم الراقي وصون عقول وقلوب الأجيال^(٤).

المقدمة الثانية: منزلة العلم في الإسلام.

ليس الغرض من هذه المقدمة بيان فضل العلم والعلماء، أو جهد البيان في تسطير الأدلة والشواهد من القرآن والسنة على فضل منزلة العلم، وبيان رفعة العلماء، فإن من قرأ القرآن بتدبر وعرف السنة بتمعن يدرك أن الإسلام هو دين العلم، وهو الموثق عرى أنه لا عزة ولا تمكين إلا بعلم يرفع الجهل، ويجعل أمتنا في أوائل الأمم المتقدمة علمياً.

(٤) انظر: المبتعثون السعوديون إلى كندا والتحديات العقدية. ص: ٢، والابتعاث تاريخه وآثاره ص ١٥.

هذا العلم الداعي له دين الإسلام لرقى الأمة، مربوط بأصل عظيم وهو الإيمان بالله فلا علم في الإسلام إلا بإيمان، ولا إيمان يؤتي ثماره إلا بعلم.

وأكتب هذه الديباجة المختصرة رداً على من يزعم أن الإسلام يحارب العلم والعلماء، أو أنه لا يمكن أن ترتقي الأمة وهي متمسكة بإيمانها، قاسوا هذه الأباطيل على ما عرفوا من دين النصرانية المحرفة في محاربة العلم والعلماء، وكان خروج العلمانية رداً على تلك التحريفات النصرانية، مقوياً لهم علمياً مؤخراً لهم في الإيمان والروح.

لكن نقول لأولئك الذين يريدون أن يفصلوا العلم عن الإيمان، وقيسوا الإسلام بالنصرانية، ويقتفوا بنا خطى الغرب في محاربة الدين والإيمان، حتى يكون منا التطور والتقدم، نقول لهم: كل قياسكم باطل مخالف للحق، فديننا دين العلم توجيهاً وحثاً ومدحاً وثناءً للعالم والمتعلم، سواء العلوم الشرعية أو ما عداها من العلوم النافعة الأخرى، بل إن هذه العلوم النافعة التي لا محذور فيها يجب على طائفة من المسلمين تعلمها بما يسد حاجة الأمة، ويمكنها من إقامة دينها ودنياها.

والمتمعن في تاريخ الإسلام يجد أن لأمة الإسلام قصب السبق في إدراك هذه العلوم وتحصيلها، حتى أن غيرهم من الأمم تتابع في الهجرة إليهم لأخذ هذه العلوم ونقلها إلى ديارهم.

وعلوم الشريعة إنما تؤخذ من أهلها من أهل الأمانة والديانة، والعلوم الأخرى كذلك تؤخذ من أهلها من أهل العلم والمعرفة وإن كانوا غير مسلمين، إذ اقتضت الحاجة ذلك.

ولم يزل علماء الإسلام والمخلصون لبلادهم ودينهم يدعون إلى الاهتمام بالعلوم، وتشجيع طلبها، وتيسير سبلها، حتى تكون بلاد

الإسلام مستغنية عن غيرها من الأمم، خارجة عن ربة التبعية والخضوع لغيرها.

وبهذا يتضح أنه لم يكن الإسلام ولا علمائه ولا دعائه، عقبة أمام تحصيل العلوم النافعة.

ومتى كان الابتعاث يعبر عن هذه المعاني الجميلة للعلم، يعد طلابه من طلبة العلم النافع، الذين يعتمد عليهم بعد الله في إعلاء شأن أمتهم ودينهم، وجعل أمتهم في محل القيادة والريادة، وهذا يتضح في المقدمة التالية.

المقدمة الثالثة: في الضوابط العامة للابتعاث.

حياة الطالب المبتعث في بلاد الغرب، يجب أن يُنظر إليها على أنها انتقال من مجتمع إلى مجتمع آخر، من بلد ومجتمع له ثقافته وفكره وسلوكه، إلى مجتمع مغاير بكل ما ذكر، ذاك المجتمعان اللذان لهما ما يخصهما من المكانة العلمية والحضارية، ولأشك أن كفة المجتمع الغربي وحضارته هي الغالبة في المفاضلة بين المجتمعين، وهذا يعنى أن الطالب يقف في موقف المتعلم والمقلد في أحيان كثيرة، إذ المغلوب مولع بتقليد الغالب.

تلك الحضارة الغربية بعجورها وبجرها وغثها وسمينها هي مسلمات في الحياة الغربية، مسلمات مفادها بأن الحضارة الغربية ومنجزاتها في ميادين العلم والفن والأدب والحياة الاجتماعية وما نتج عن ذلك من مظاهر في الفكر والسلوك والأنماط الثقافية الأخرى، تمثل بمجملها أفضل إنجاز للعقل البشري، ومن ثم فهي تعكس التحضر والتقدم وتترجع على قمة الحضارة الإنسانية، وتبعاً لذلك فالحضارة الغربية هي

المثال الذي يجب أن يحتذى والمعيار الذي في الإمكان اتخاذه للحكم على الثقافات والحضارات الأخرى.

ومع الأسف أن هذا التمجيد للحاضرة الغربية من قبل الغرب أنفسهم، يتمتع بالدعم والانتشار في بلاد المسلمين، وتجد لهذه الدعوة المساحة الكبيرة في ميادين الفكر والثقافة، ولا شك أن الابتعاث للخارج يكون رافداً مؤثراً من روافد هذا الاتجاه، إذا لم تتخذ الضمانات الملائمة لترشيده وضبطه^(٥).

ولعل من أهم الخطوط العريضة التي يكون بها ضبط الابتعاث الأمور الآتية:

أولاً: الدقة في اختيار المبتعث المناسب، سواء حيث مستواه العلمي وقدرته على التفوق والابتكار، أو من حيث استعداداته الفعلي ودافعيته نحو التميز، أو من جهة وضوح رؤيته وهدفه من هذا الابتعاث بما يخدم وطنه ودينه، خصوصاً مع تزايد أعداد المبتعثين الذين غاب عن بعضهم الهدف من الابتعاث، أو أن ذهابه للدراسة في الخارج هروباً من اخفاقه في الداخل، أو لأجل مكافأة الابتعاث، فالابتعاث في نظره مجرد وظيفة، لحل مشاكله المالية، أو يعتبر السفر للخارج والدراسة هناك نوعاً من الزخرف والتميز الاجتماعي، كما أن هناك من يعتبر

(٥) انظر: ظاهرة الابتعاث في البلاد العربية وآثارها الثقافية، دراسة نقدية في ضوء الإسلام ص ٣، والابتعاث إلى الخارج وقضايا الانتماء والاغتراب الحضاري ص ٧٥، والابتعاث ومخاطره، رسالة صغيرة، من تأليف: الشيخ محمد بن لطفي الصباغ، كانت في الأصل بحثاً كتب للمؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة الذي عقد في المدينة المنورة في ٢٤/٢/١٣٧٩هـ الموافق ١٢/٢/١٩٧٧م.

الحصول على الدراسات العليا نوعاً من التفاخر والتباهي فحسب، ولهذه الأهداف وغيرها التي تخالف حقيقة الابتعاث، تجد أن كثيراً من هؤلاء تضعف قدرتهم الشخصية على صيانة أنفسهم من الأخطار الفكرية والأخلاقية.

ثانياً: قلة النوعية المتميزة في المبتعثين، نلاحظ كثرة الدارسين في تخصصات ضعيفة وقليلة الأثر في دفع المسيرة الحضارية لأمتنا، إذ المهم الدراسة أو التخرج، فهذا التخصص هو الذي قبله لضعفه، أو لعجزه عن الاستمرار في التخصصات العلمية التي تحتاج إلى قدرات أقوى لتحصيلها، وفقد الشيء لا يعطيه.

وهذا يعيدنا إلى أهمية اختيار الطالب المبتعث، من جهتي المرحلة المبتعث لها، والقدرات العلمية والذهنية، ولهذا جاءت الدراسة الميدانية^(٦) باعتبار أن التعثر الدراسي لدى المبتعث يعد من المشاكل الكبيرة، وحول البحث عن سبب هذا التعثر أجاب ٧٣% أنه بسبب ضعف القدرات الشخصية.

وعند النظر في النظام المعد للابتعاث نجد أنه نظام صارم في شروطه من حيث القدرات العلمية، لكن مع الأسف أن الطلاب المبتعثين وفق الشروط لا يتجاوزون (الخمس والثلاثين بالمائة ٣٥%) من جملة المبتعثين، وهؤلاء في الأعم الأغلب ليس لديهم مشاكل أكاديمية أو سلوكية لتفوقهم وحرصهم على التفوق، وتأتي عامة المشاكل الأكاديمية والسلوكية من أولئك الملحقين بالابتعاث، ولك أن

(٦) دراسة ميدانية للمشاكل التي تواجه الطلبة المبتعثين في نيوزلندا ص ١٨، ٢٠.

تتصور مدى الضعف في أولئك الملحقين فليس بمستغرب أن تجد متخرجين بمعدل مقبول يقدمون لدراسة الماجستير، أو مخفقين في جامعاتهم أو لم يجدوا القبول لمرحلة البكالوريوس.

لهذا الأمر يأتي الإخفاق العلمي، أو عدم الدراسة في تخصصات متميزة فتجد عامة أولئك الملحقين يترددون على تخصصات معينة عرفت بسهولة أو جامعات عرفت بالسهولة، ولتفادي هذا الحرج من قبل الوزارة والملحقيات أخذت بالسماح بمعاهد مهنية كانت للدبلوم، لكي يأخذ منها طلابنا شهادات البكالوريوس.

ثالثاً: من الضوابط المهمة للمبتعث تجنب الآثار السلبية الناتجة عن الحياة في بلاد الغرب، وعليه أن يلتزم بإسلامه، ويعتز بانتمائه الحضاري، ويبحث عن السبل التي تكفل له هذا الالتزام، وتدعم في شخصيته ذلك الانتماء، وقوة الالتزام في الحقيقة يعود إلى مستوى التحصين العقائدي والفكري والسلوكي لدى الطالب المبتعث، فكلما ارتفع هذا المستوى من التحصين، كلما كان التأثير إيجابياً وموجهاً نحو الوجهة السليمة، والعكس بالعكس.

فمن ناحية علمية، تكون حوافزه للتعلم أقوى، وإنجازه أفضل، لشعوره بالمسؤولية تجاه وطنه وأمته، ومن ناحية إنسانية، يتعامل تعاملًا مباشراً مع الحضارة الغربية، ويتعرف عن كثب على مشكلاتها وانحرافاتهما، ويستفيد من بعض جوانبها الإيجابية التي وفرت التميز والريادة للمجتمعات الغربية، ومن أجل ذلك، نستطيع القول: بأن مثل هذا المبتعث قد استثمر هذه التجربة الحضارية " الدراسة والحياة في الغرب " استثماراً علمياً واعياً على مستوى شخصه ومستوى الأمة التي ينتمي إليها.

وعلى النقيض من ذلك، الطالب الذي لا يتوفر لديه التحصين العقائدي والفكري المناسب، أو كان متوفراً لديه ولكنه لم يستطع المحافظة عليه في فترة الاغتراب تحت تأثير الاحتكاك المباشر مع المجتمع الغربي، أو لأي سبب من الأسباب، فإن مثل هذا المبتعث تسيطر على عقليته مظاهر الانبهار والتقليد والتأثر سلباً بفكر وسلوك المجتمع الغربي، وعند الرجوع إلى أرض الوطن يكون مثل هذا الطالب سفيراً لتوجهات فكرية وسلوكية تنتمي إلى حضارة أجنبية، الأمر الذي يدعم توجهات التبعية والانتكالية الحضارية، ويطيل أمد الضياع والتخبط في متاهات الاغتراب الحضاري.

وعلى ذلك تكون على الجامعات ووزارة التعليم العالي مسئولية كبيرة في إيجاد دورات للطلاب الذين تتوفر فيهم شروط الابتعاث العلمية، يكون هدفها توجيه الطالب وتحصينه عقائدياً وسلوكياً.

وفي السابق خطت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض خطوات مباركة في هذا السبيل، ونظمت برنامجاً توجيهياً منذ عدة سنوات ينضم إليه كل مبتعث من المملكة العربية السعودية، ويعتبر برنامجاً رائداً في مجاله، لكن لا وجود لمثل هذا اليوم^(٧).

(٧) فقد صدرت موافقة السامية ذات الرقم ٨٨٩١/م/٧ والتاريخ

١٤٠١/٤/٢١هـ على قرار اللجنة العليا للإصلاح الإداري ذي الرقم ٩١

والتاريخ ١٣٩٩/٨/٢٠هـ القاضي بأن يتولى المعهد العالي للدعوة

الإسلامية (كلية الدعوة والإعلام حالياً) التابع لجامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية مهمة التوجيه والتوعية للطلاب المراد ابتعاثهم للدراسة

في الخارج، وبناءً عليه فقد قامت الجامعة بإعداد دراسات وتصورات

عامة عن كيفية تنفيذ الموافقة السامية، ثم عرضها ومناقشتها مع الجهات

رابعاً: عند ابتعاث الطالب التي توفرت فيه الشروط، يبقى الدور على الملحقيات الثقافية في متابعة الطالب علمياً وسلوكياً، إذ أن الطالب قبل ابتعاثه تعهد بالالتزام بالسلوك الحسن وإن وجد خلاف ذلك يكون مبرراً لإنهاء بعثته.

ولكن مع الأسف ولكثرة المبتعثين يكون دور الملحقيات فقط المتابعة الأكاديمية، دون النظر إلى انحرافات المبتعث السلوكية والفكرية أو حتى البحث عنها أو محاولة التعرف عليها. ويؤسفنا أن كثيراً من الملحقيات تغفل عن هذا الجانب الذي بإحيائه يكون إحياءً لانتماء المبتعث لدينه وأمته.

ولذلك وسائل عدة تستطيع الملحقيات القيام بها، منها: تشجيع الأنشطة التي تخدم هذا الغرض في بلاد الغربية من محاضرات وندوات ومخيمات ومؤتمرات، مع ما يضاف من إحياء دور الأندية وتفعيلها. هذا بإجمال أهم ضوابط الابتعاث، التي بأخذها والعمل بها يؤدي هذا المشروع الابتعاثي ثماره الطيبة بإذن الله.

المعنية بالابتعاث. وكان من أهم أهداف الدورة: العلم الشرعي الذي يعينه على تحسين نفسه وأسرته من مزالق الانحراف في التصور والسلوك، الخلفيات الفكرية والاجتماعية للبلاد التي يوفد إليها، التأكيد على أهمية التفوق العلمي، والتذكير بالدور الرائد للمسلم في الدعوة إلى الله على هدىً وبصيرة. وكان انعقاد أول دورة في مدينة الرياض بتاريخ ٢٦/٤/١٤٠٢هـ، ولمدة أربعة أسابيع، وحضرها ٧٣ مبتعثاً.

المبحث الثاني

الآثار العقيدية في الابتعاث.

المطلب الأول

البيئة وأثرها على المعتقد

اليوم قد تكون الصدمة الحضارية أقل تأثيراً من قبل، بسبب أدوات التواصل المتاحة، فما في الغرب يُعلم في الشرق، لكن تكمن المشكلة أن ما هو محرم في ديننا ومعيب في مجتمعنا، هو من المسلمات في المجتمعات الغربية، سواءً في باب السلوك وهو الظاهر، أو في باب الفكر والاعتقاد وهو الأخطر.

ولهذا كان إرسال المبتعثين بهذا العدد الكبير مع ضعف التحصين، وصغر السن، وقلة القدرات الفكرية والعلمية، إلى بلاد الغرب باباً من أبواب الخطر العظيم، سيما وأن آثار ذلك تكاد تراه بمرورك بأحد شوارع المدينة المبتعث إليها.

إن التحاق المبتعثين بدور التربية والتعليم التي توصل لتقافة الغرب، ومخالطتهم لذلك المجتمع وحضارته، يجعلهم عرضة للتأثر الثقافي^(٨) في حال غياب الحصانة الكافية أمام الشبهات المضللة،

(٨) وهذا ما يصرح به بعض مثقفي الغرب، حيث يؤكد بيتر وليامز «Peter Williams»: أن الدراسة في الغرب تساعد في نشر الثقافة والقيم الغربية في العالم، كما تساعد على انفتاح العالم الغربي على المجتمعات والشعوب في معركة الصراع مع التيار الآخر. وقريباً من ذلك ما ذكره جم كورتر «Jim Courter» في مقال له بعنوان: «كسب القلوب والعقول: دراسة الأجانب والسياسة الخارجية» إذ يؤكد فيه على تعزيز تعليم الثقافة والفكر للطلبة الأجانب، والتي تهدف إلى تشرب الأجانب للقيم الأمريكية، تم يضرب عدداً

والشهوات الميسرة في البيت والشارع والمدرسة والسوق، في بلد يفخر أنه متعدد الثقافات، حر في الاختيارات، معتبراً كل سلوك أو فكر أو معتقد حرية شخصية^(٩).

بعد هذه النظرة الموجزة عن البيئة التي يبتعث إليها الطالب، بما فيها من مظاهر حضارية وسلوكية، وكذا ما تحمل في طياتها من مضامين فكرية، لها أثرها القوي في الأغلب على مُعاش تلك البيئة. أقول عند النظر إلى المبتعثين نجدهم يقفون أمام ذلك المجتمع وتلك البيئة طرفان ووسط، فمنهم من اعتزل هذه البيئة، فبعد خروجه من محضنه العلمي، يقضي بقية يومه مع أهله أو أصحابه، وجعل المخالطة لتلك البيئة تقف على الضروريات الملحة.

وهذا الصنف يخشى ممن يراهم ممن خالط وانحرف في المجتمع الغربي، حتى لا تكاد تميزه إلا بصوته أو سحنته، فهو متأثر بقيم المجتمع الغربي، منهزم أمام قوته وضغوطه، وهنا نلاحظ أن الصنف الأول أنما نشأ كردة فعل للصنف الثاني، وكلا هذين الصنفين فيما يظهر لي أنهما واقعان في الخطأ، أو عدم معرفة التعامل مع الحضارة الغربية، وإن كان الأول أسلم من الثاني بكل المقاييس.

ومن بين هذين الصنفين خرج صنف ثالث عرف كيف يتعامل مع الحضارة الغربية، فاندمج في المجتمع الغربي بوعي واعتزاز بقيمه وعقيدته، فهو أدرك كلا الأمرين التعلم والمعرفة، والاطلاع على الجوانب الحضارية والحياتية وفهم ذلك المجتمع، ومعرفة أسباب تفوقه

من الأمثلة بتأثر قادة دول ووزراء بالدراسة في أمريكا. انظر لمزيد بيان:

الطلبة المسلمون في الغرب ص ٥١.

(٩) انظر: سفر الشباب والعائلات إلى الخارج ص ١٩٢-١٩٤.

وكيفية الاستفادة منها، وهذا الأمر لا يقل أهمية عما يحصله المبتعث في المحاضن التعليمية، إذ ذلك يحي في نفسه المسؤولية والحرص على حمل الأمانة التي جاء لأجلها والسعي الجاد في رفع أمته وجعلها أمة متقدمة قائدة لا مقوده.

ولعل هذه أفضل صورة في التعامل الفعلي مع الحياة في المجتمعات الغربية، هي تلك الصورة التي يرسمها بعض مبتعثونا الذين اندمجوا بوعي فتركوا العزلة، ولم ينساقوا مع البيئة الضاغطة بكل مغريات ومباهجها الفاتنة وخلفياتها الفكرية، وإنما تعاملوا معها تعاملًا راشداً ينتفع بخيرها ويتجنب شرها، ويشارك مجتمعا في فعل الخير وإسداء المعروف ودفع الشر وكف الأذى.

ولكي يتمكن المبتعث من هذا الانفتاح الراشد على الحضارة الغربية لابد من تأهيل سابق، ومتابعة لاحقة أثناء البعثة، وكلما كانت حصانته الدينية والعقدية متينة، كان نجاحه أكبر في تجاوز العقبات التي تعترضه، وكلما كانت المتابعة أكثر وأقرب، كان تجاوز أي خطر أو انحراف سلوكي أو عقدي أسرع وأنجع.

والكلام في الاندماج في الحضارة الغربية ينبغي أن يكون بوضوح وعلى الطريق القويم، الذي أساسه سيرة المصطفى ﷺ في التعامل مع غير المسلمين، من التسامح والإحسان والاحترام وحسن التعامل وعدم الجور في المعاملة، مع محافظة على عزة المسلم وحسن انتمائه لدينه وثقافته، ولا يكن هذا الاندماج والتعايش مع الغرب سبباً في تمييع الدين، وعدم الاكتراث في انتقاصه، أو إهمال الدعوة إلى الله والعقيدة الصحيحة بالقول والعمل، بحجة الانفتاح والاندماج مع الغرب.

كما أنه لا ينبغي أن يفهم هذا الانفتاح والتعايش على ثقافة الغرب، وعلاقة المسلم مع غير المسلم، على أنه انفلات أو استعداد للذوبان، لكنه يؤسس لعلاقات إنسانية يراد منها تعليم الناس بديننا وسماحته وكرمه وأنه رحمة للعالمين.

والغرض من هذا البيان هو أن يكون للمبتعث أثراً إيجابياً في تلك البيئة والحضارة الغربية، والتي من أهمها اطلاع الغرب على ثقافة المسلم ودينه، سواءً ببيان تعاليم الإسلام بالقول أو بتمثلها.

وكذا معرفة حقيقة الحضارة الغربية ومعرفة خفاياها، فالقريب من الشيء جدير بمعرفة خفاياه.

وهنا يتضح للمبتعث أن ذلك التمجيد لتلك الحضارة سراب لا حقيقة له، وقريب من ذلك ما كنا نعتقده عن بلاد الغرب وأناسها، وأنهم كلهم عقول مفكرة، أو كيان لا يمكن أن يوصل إليه، هذا ما حرصت عليه الحضارة الغربية من غرسه في نفوسنا، وأن الحاجة لها قائمة، بل لا صلاح للعالم بدونها.

أقول ولعل المبتعث بعد مخالطته لتلك البيئة يدرك أن أبناء تلك الحضارات هم طلاب قد لا يتميزون عن بعض مبتعثينا فكرياً أو ثقافياً أو بسعة اطلاع، لكن مع ذلك بلدانهم متقدمة، مما يحدث عند الطالب تساؤلات لماذا هذا التقدم؟ وهذا التساؤل وغيره مما يحدو الطلاب في البحث له عن الجواب الصحيح، والجد في معرفة أسباب تقدم الدول الغربية، ونقل ذلك التقدم إلى أهل ديار الإسلام الرائد في ردها من الزمن.

كما يضاف إلى ذلك تجنب ما تغرسه البيئة من أفكار سلبية
واعتقادات باطلة، وسلوكيات خاطئة، قد يكون لها الأثر البالغ على
المبتعث، إن عدم الحيطة وأخذ الحذر، والتحصن بقوة العقيدة والعلم.

المطلب الثاني

المعتقدات والأفكار

عند حديثنا عن المعتقدات في بلاد الغرب يتبادر إلى الذهن عقيدة النصرانية، إذ هي المعتقد الديني السائد هناك، وقد لا يدرك المبتعث أن التأثير الحضاري للنصرانية ضخم للغاية وشديد الانتعش، وأنه يشمل جميع مجالات الحضارة، ذلك أن الديانة النصرانية لعبت دوراً رئيساً في تشكيل أسس وسمات الثقافة والحضارة الغربية، ولها الأثر الكبير على المجتمع الغربي في عامة مجالاته، حتى الثقافية والسياسية منها.

وهذا بلا شك ينتج منه حركة دعوية للتنصير، يدركها كل من زار بلاد الغرب، كان للمبتعثين نصيباً منها، إذ يتعرض المبتعث إلى كثير من الدعوات التنصيرية سواء مباشرة أو غير مباشرة، ناهيك عن ما يقام في بعض مدارس أبناء المبتعثين من الطقوس الدينية أو حضور القداس، يضاف إلى ذلك تردد المنصرين على سكن المبتعثين والتعرض لهم في الطرقات والأماكن العامة.

وعند طرح سؤال للمبتعث حول هل واجهتك دعوة للتنصير؟ تبين أن أكثر من ٥٠% أجابوا بنعم واجهتهم. والحقيقة أن هذا الأمر لا يستتكر إذ أن جهود التنصير والجمعيات التنصيرية تمتد شرقاً وغرباً خارج ديارهم، فما ظنك بمن جاء إلى ديارهم؟.

لكن السؤال ما مدى أثر هذه الدعوات أو الجمعيات التنصيرية على المبتعثين؟

عند النظر لأول وهلة لما يكتب حول هذا الموضوع في بعض الصحف، أو المواقع الإلكترونية، أو القنوات الفضائية، تهولك تلك

النسب التي تذكر من تنصر بعض المبتعثين، أو تعظيم الأمر وجعله السمعة العامة للمبتعثين، ولكون هذا البحث مبني على الحقائق من أرض الواقع، والوقوف عن كثب على هذا الأمر العظيم، يتضح بعد التحري والاطلاع والجهد في تقصي حقائق هذا الأمر، أن ما يقال في هذا الأمر مبالغ فيه، وأن تلك الاطلاقات والمبالغات لم تُبنَ على معلومات دقيقة بل مجرد سماع أو يقال.... ونحو ذلك.

وإن وجد شيء من ذلك، أي الدخول في النصرانية من طلابنا المبتعثين، فإنه نادر وغالبه يكون لتحصيل مقاصد دنيوية، أو أن صاحب هذا الأمر ينوبه ما ينوبه من الأمراض النفسية أو العقلية.

ولكون هذا الأمر أمر جلل فقد حرصت كل الحرص على تتبع هذا الأمر بدقة، حتى أتضح الحق فيه، وأنه لا وجود لمثل هذا الأمر بين المبتعثين إلا نادراً أو لا يكاد يذكر، وحتى أستشرف ما في النفوس، جاءت الاستبانة تحمل سؤالاً حول هذا الموضوع، وهو: هل هناك حوافز أو إغراءات تدفعك للتفكير باعتناق النصرانية؟

فجاءت الإجابة بـ ٢% يرغبون ويفكرون باعتناق النصرانية، وهذه النسبة لهم سؤال آخر حول الدافع لهم لهذا التفكير، فجاءت إجاباتهم لأجل الإقامة ببلد الغرب، أو الزواج.

هذه النسبة قليلة، وهي لأغراض دنيوية كما قدمت، سرعان ما يتراجع عنها صاحبها.

وعلى كل حال مجرد التفكير بمثل هذا الأمر يعتبر أمر خطير، يقودنا إلى أن مفهوم التدين أو التمسك بالدين أمر قد قل قدره في قلوب نسبة من المبتعثين، وفي نظري ليس الخطر من اعتناق النصرانية، إذ

أن أهل النصرانية أنفسهم يخرجون منها، فهي معتقد ضال، يبعد بمن عرف الإسلام أن يعتقدها.

لكن المخافة الكبرى على المبتعثين، تلك الأفكار والبيئة التي تقلل من شأن العقيدة، أو تمسها بلوثة تفسدها.

ومن أهم تلك الأفكار التي يتشبع بها المبتعث وتسري إلى فكره وعقله، سواء شعر بذلك أو لم يشعر، ذلك عند انهماكه في الحياة الغربية المادية، التي تُقصي الدين ورجالاته عن مناشط الحياة العامة، مما يجعل المبتعث يتربى على أن لا علاقة بين الدين والحياة، وقد يزيد الأمر إلى تعزيز فكرة فصل الدين عن الحياة، لما يرى أن حياة الغرب الدنيوية عامرة لديهم بلا دين فيما يظن، يزيد الأمر خطورة إذا اعتبر أن الشرع الإسلامي وما يقوم عليه من الوحيين، ليس له تأثير في الحياة إلا في وقت مخصص ولقضايا مخصوصة، وإن المعتمد هو التجربة الحسية التي يعتمد عليها الغرب ويُنجحون بها حياتهم.

يضاف لذلك ما يستشعره من يؤمن بذلك أو يتأثر به من المبتعثين، من ضعف الإيمان بالغيب، ولا يقين لديه إلا بما هو محسوس ومشاهد، فتجد بعضهم يتقلت من الدين شيئاً فشيئاً، لتأثره بهذه الأفكار التي بدأت تضرب أطنابها في فؤاده وعقله، وآخرون يحافظون على الطقوس الدينية كعادة مورثة ليس إلا، إذ هي قليلة القيمة في نفوسهم، تعلقت قلوبهم وعقولهم بالمشاهد المحسوس وعالم التجربة، التي عاشت عليه بلاد الغرب مع ما يرونه من النجاح الظاهر فيها.

فهؤلاء المبتعثون لا يعينهم الدين والتدين، إذ اخذوا على نمط الحياة الغربية، فاهتموا بالماديات والعلم المادي، الذي في الحقيقة لا قيام له بلا دين والإيمان.

فالمادية في بلاد الغرب هي المسيطرة على الفكر والسلوك، بحيث أصبح الإشباع المادي هو الهدف الرئيس للحياة، إن لم يكن الهدف الوحيد، من أجله يعمل الإنسان، ومن أجله يعيش، كما أنتجت هذه الفلسفة، السعي الجاد وراء المتعة بكل أنواعها^(١٠).

وقريباً من ذلك تأثر بعض المبتعثين بالحرية التي تُرى في الغرب، والحرية تحبها النفوس وتشتاق لها، وترغب في تحقيقها، لكن ما هي الحرية التي تستحق المحبة، والتي تبعث في النفس العزة والكرامة، إنها الحرية المرتبطة بفطرة الإنسان الحقّة التي يغذيها الإيمان والتوحيد، فإذا انفصلت عن هذا المنبع الغني الروي الصافي الزلال، انقلبت فتنة في الأرض وفساداً كبيراً.

وما يشاهد في بلاد الغرب هي حرية مزعومة، انفلتت من جميع القيود الربانية باسم الحرية.

وهذه الحرية مع الأسف هي التي بهرت أعين البعض من المبتعثين، وجعلوها سلباً لتتبع ملاذ أنفسهم، أو الجراً والطعن في بعض أحكام الشريعة، أو التهوين منها والتقليل من شأنها، ذلك بزعمهم أنها تخالف الحرية^(١١).

(١٠) انظر: الطلبة المسلمون في الغرب ص ٩٠.

(١١) انظر لمزيد بيان في ذلك: حرية الرأي الواقع والضوابط ص ٤٧.

المطلب الثالث

التشبه بالكفار

إن الحديث عن التشبه والمبتعثين يُوجد مادة وفيرة، إذ أن كثيراً من المبتعثين أبتلي بمحاكاة المجتمع الغربي والتشبه به، وإن كان ذلك في الظاهر إلا أنه لاشك يسري للباطن، لهذا جاءت نصوص الشرع في النهي عن التشبه بالكفار، بل والأمر بمخالفتهم، ومع الأسف الشديد أنك ترى المبتعث يحرص كل الحرص على أن يخفي حقيقته، لكي لا ينتقد من بني جنسه من أهل بلده، والبعض الآخر تشبهه إنما هو مجارة للموضة.

كما أنه مع مخالفة الشرع بالتقليد، إلا أنه في حين آخر يقلد بما يخالف التوحيد، فليس بمستغرب أن تجد على رقاب المبتعثين تلك القلائد، أو جملة من الأربطة في الأساور، حتى يوهم أنه غربي، أو من غير بلاد الإسلام، فلا تكاد تعرفه إلا بصوته أو سحنة بشرته.

زاد الأمر سوءاً عندما سرى التشبه للمخالفات العقدية، فتجد المشاركة للنصارى بأعيادهم ومناسباتهم الدينية من جملة من مبتعثين. ففي سؤال حول مشاركة النصارى في أعيادهم ومناسباتهم الدينية^(١٢)، أجاب ٤٤% بأنهم يشاركونهم، وهذه نسبة كبيرة، وربما

(١٢) وقد تنوعت هذه الأعياد والمناسبات: فهناك ما يسمى بعيد المسيح «الكريسمس» وهو من أهم الأعياد المسيحية، ويعني ميلاد المسيح عيسى عليه السلام، وهناك أيضاً عيد الحب، ويعتبر من أعياد الرومان الوثنية ويسمى عند النصارى «عيد القديس فالنتين» ويحددونه في اليوم الرابع عشر من شهر فبراير من كل عام ميلادي، ولهذا العيد شعائر وشعارات كان أهمها اللون الأحمر سواءً من الورد أو البطاقات أو الملابس الحمراء،

المشاركة عن جهل بالحكم، أو مجاملة، أو مداراة، أو درء حرج، أو موافقة لهم، وعلى كل حال فالجميع واقع في المحذور، وهو يدل على جهل جملة من مبتعثينا بأحكام الشرع، ومفسدات الاعتقاد.

ومما لا يخفى انتشار مثل هذا الأعياد في بلاد المسلمين سواءً من النصارى الساكنين إليهم، أو ما جذبته العولمة من الانفتاح فأصبح بعض المسلمين يقيم شعائر بعض هذا الأعياد كعيد الحب مثلاً، سواءً في لباسه أو في تبادل الهدايا وبطاقات التهاني التي سهل اليوم انتشارها وإرسالها.

وعلى ذلك لم يكن التشبه فقط بمجرد التقليد الجسدي والتشبه الخلقي في الزى واللباس والأخلاق الظاهرة فحسب، بل هناك ما هو أعمق من هذا، من الآثار الثقافية والفكرية.

إن التقليد الثقافي والفكري لاشك أن له الأثر الكبير، وقل مثل ذلك في التقليد الاجتماعي، سواءً في طرق التواصل والعيش والأسرة والمجتمع، أو طرق الاستهلاك والرفاهة المادية، والخطب أعم إذا أصبحت حياة الناس قائمة على النفعية وأن الغاية تبرر الوسيلة، وقيمة الإنسان تقاس بما يملك ويستهلك.

كل هذا التشبه بأنواعه السلوكية والثقافية والاجتماعية، ناقوس خطر يسعى إلى إذابة الهوية الإسلامية.

ويكون مصحوباً بشعار هذا العيد وهو صورة طفل له جناحان ويحمل قوساً وسهماً، وقد ذكرت المصادر أن هذا الشعار رمزٌ لآلهة الحب عند الرومان الوثنيين، وغيرها من الأعياد والمناسبات الدينية. انظر: المختصر في حكم الأعياد المحدثّة، للمالكي ص ٢٥.

إن الزمن الحاضر ترى فيه أقوى غلبة التشبه بالغرب، بل والحرص عليه والاجتهاد لنيله، فكم يتسابق أبناء أمتنا من مبتعثين وغيرهم كي يقربوا من الغرب ويتشبهون به، كما أن المجتمع يرى ذلك المُتشبه هو صاحب الحضارة والتقدم والثقافة والرفق، كل هذا وغيره سببه الضعف في النفوس وعدم الثقة في الثقافة، والجهل بأحكام الشرع وكماله.

ولخطورة أمر التشبه وانتشاره بين المبتعثين لعلّي أذكر جملة من مخاطرة التي قد يغفل عنها بعض مبتعثينا، والتي من أهمها:

- عند التأمل والنظر نجد أن كثيراً من المفاصد السلوكية والاعتقادية، سببها الأساسي هو التقليد والتشبه بأعمال الغرب، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «إن من أصل دروس^(١٣) دين الله وشرائعه، وظهور الكفر والمعاصي، التشبه بالكافرين، كما أن من أصل كل خير المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم»^(١٤).

- إن التشبه بالغرب يورث ضعف الإيمان، ومحاولة التقلّد من نصوص الشرع الناهية عن التشبه بهم، هذا إن فقه المبتعث الشرع ونصوصه، وإلا فإن الغالب على من يقلد أولئك، الجهل بالشرع وعدم العلم به.

(١٣) دَرَسَ الشَّيْءُ وَالرَّسْمُ يَدْرُسُ دَرْوَسًا عَفَا وَانْدَثَرَ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ، يُقَالُ: مَحَّ الْكِتَابُ وَأَمَحَّ: أَي دَرَسَ، وَعَفَا الْأَثَرُ: دَرَسَ وَأَمَحَّى. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٥٢٤، ولسان العرب ٦/٧٩، والمصباح المنير ١/١٩٢.

(١٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١١٦.

- ابتعاد المرء عن دينه ومكمن عزه، إذ إن المتشبه هدفه الأساس
ملاحقة الغرب وجديده، وهذا يورثه عدم استحضار جوانب العزة
والقدوة الإسلامية، بل حتى إغفال الحضارة الإسلامية ومقتها.
- كما أن المقلد والمتشبه يغفل أو يتغافل عن الثغرات في تلك
الحضارة الغربية الزائفة، فلا يبدي الجانب المظلم منها من بؤس
أخلاقي وروحي واجتماعي، بل يدافع عن ذلك ويفخر بتلك الحضارة،
وهذا ليس مستغرباً لمن تشبه بالقوم وحرص على اقتفاء آثارهم، ونسي
دينه وحضارته.

هذا بإجمال وإلا الأمر أشد من ذلك، لكن نهيب بمبتعثينا بذل الجهد
في فهم هذه الحضارة بأبعادها الاجتماعية والثقافية، ومحاولة استيعابها
وتوضيح مبادئها وطرح النهج الإسلامي وتعريفه للناس، وكيف يكون
هو التعامل الحق الذي يتعاملون به في مجتمعاتهم وكأفة أنماط
الحياة^(١٥).

(١٥) انظر: اقتضاء الصراط ص ٢٢٢، ومظاهر التشبه بالكفار في العصر
الحديث وأثرها على المسلمين ١/٧٤-٧٥، ١٠٧-١٠٩، والعوامل المسببة
للاتحراف الفكري ص ٢١٦.

المطلب الرابع

الولاء والبراء

عند النظر في معاجم اللغة نجد أن كلمة الولاء تطلق على معان عدة منها: المحبة والنصرة والإتباع والقرب من الشيء والدنو منه، والمولى اسم يُطلق على الرب والمالك والسيد والمنعم والمعق والناصر والمحِب والتابع^(١٦)، وكل هذه المعاني تدل على النصرة والمحبة، فالموالاتة ضد المعاداة، والولي ضد العدو.

وعلى هذا يكون الولاء في الاصطلاح: ينطلق من هذه المعاني اللغوية، فالولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام، فمن وإلى المؤمنين أحبهم وناصرهم، وموالاتة الكافرين تعني التقرب إليهم وإظهار الود والمحبة لهم^(١٧).

أما البراء: فيطلق على معانٍ كثيرة منها البعد والنتزعة والتخلص والعداوة^(١٨).

وفي الشرع : فيكون العبد المؤمن بريئاً ومبتعداً عن ما يسخطه الله ويكرهه ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات والذوات،

(١٦) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٤٤٧/١٥، والصاحح للجوهري ٢٥٢٨/٦،

ولسان العرب ٩٨٦/٣، والمصباح المنير للفيومي ٨٤١/٢.

(١٧) انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٤٢٢، والولاء والبراء ص ٧٠.

(١٨) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢٦٩/١٥، ولسان العرب ١٨٣/١، ومقاييس

اللغة لابن فارس ٢٣٦/١

فالبراءة الشرعية البغض لكل ما يبغضه الله، والمولاة الشرعية الحب لكل ما يحبه الله.

وعلى هذا يتضح أن أصل المولاة الحب، وأصل البراءة العداوة والبغض، وينشأ عن هذين الأصلين من أعمال القلوب وأعمال الجوارح ما تتحقق به عقيدة الإنسان أو تنقص أو تضمحل، وهذا ما يؤكد أن لهذه العقيدة مكانة عظيمة إذ هي معنى لا إله إلا الله^(١٩).

ومسائل الولاء والبراء في هذا العصر يكثر السؤال عنها وتتشعب المسائل فيها وما ذاك إلا لسهولة الاتصال بالكفار وكثرة الحاجة إليهم، ولعل من أهم هذه المسائل^(٢٠) اليوم، مسألة الابتعاث والمبتعثين وحكم سفرهم لبلاد الكفر والإقامة فيها.

إذ جاءت النصوص بالنهي الشديد عن الإقامة في بلاد الكفر، كقول ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»^(٢١)، وقوله ﷺ:

(١٩) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ١١٢-١١٦.

(٢٠) كمسألة أخذ الجنسية، أو الإقامة الدائمة... وغيرها.

(٢١) جاء الحديث عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى خثعم، فاعتصم ناس بالسجود، فأسرع فيهم القتل، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأمر لهم بنصف العقل الدية وقال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين». لحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الجهاد، باب: النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، ١٠٥/٣، والترمذي بهذا اللفظ في كتاب السير، باب: ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين غير أنه قال: (لا ترايا ناراهما)، ٣٢٩/٥، والنسائي في كتاب القسامة، باب: القود بين الأحرار والمماليك، ٣٦/٨، قال عنه الإمام الألباني في صحيح

«من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله»^(٢٢)، فهذه قاعدة عامة في عدم جواز الإقامة ببلاد الكفر، ويستثنى من ذلك من دعتة الحاجة إلى الإقامة والسفر إلى بلاد الكفار، وجملة المبتعثين أصحاب حاجة، وعليه تصح لهم الإقامة حتى يقضوا حاجتهم، لكن هذا المبتعث لابد له من شروط لهذا الجواز.

أهمها النضوج العقلي، والعلم الشرعي، والدين الحامي له؛ حتى لا يقع المبتعث في منزلق خطير في هذا الباب العظيم من أبواب الدين^(٢٣).

وجهل كثير من المبتعثين بحقيقة هذه العقيدة، أوقعت المبتعث بين الإفراط والتفريط، فمنهم من منع التواصل مع الغرب جملة وتفصيلاً، خوفاً أن يخدش عقيدة الولاء والبراء، وهؤلاء من النوارد، فتوسعت

الجامع ٣٠٦/١: حديث حسن. وأحال للإرواء برقم (١٢٠٧)، وإلى السلسلة الصحيحة برقم ٦٣٦.

(٢٢) الحديث بهذا اللفظ أخرجه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: أبو داود ٩٣/٣، رقم ٢٧٨٧، والطبراني ٢٥١/٧، رقم ٧٠٢٣، وروي بلفظ «لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوه، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم وليس منا». أخرجه الترمذي ١٥٥/٤، رقم ١٦٠٥، والطبراني ٢١٧/٧، رقم ٦٩٠٥، والحاكم ١٥٤/٢، رقم ٢٦٢٧، والبيهقي ١٤٢/٩، رقم ١٨٢٠١، وقال الحاكم ١٤١/٢: صحيح على شرط البخاري. والحديث حسن، انظر صحيح الجامع الصغير ٢٧٩/٦، وصحيح وضعيف سنن أبي داود ٢٨٧/٦. ولمزيد بيان حول السكنى في ديار المشركين انظر: التبيان شرح نواقض الإسلام ص ٢٠.

(٢٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين ٢٨/٣.

الفجوة وزادت الهوة بين التواصل النافع بين المبتعث والغرب، وآخرون نسوا أو جهلوا هذه العقيدة وانساقوا خلف الغرب جملة وتفصيلاً، وحباً لا بغض فيه وتول لا براءة منه.

والواجب معرفة حقيقة الولاء والبراء وهي أن تعتقد أن كل من لا يدين بدين الإسلام فهو الكافر، وأنه لو مات على هذه العقيدة فهو من أصحاب النار، وهذا يقتضي منك عداوته وبغضه لكونه يدين بدين غير دين الإسلام، فأنت في حقيقة الأمر تبغض ما هو عليه من الضلال، فهذه البغضاء تختص بكل ما يتعلق بالدين دون غيره، أي: أن بغضهم وعداوتهم لا يعني ظلمهم أو بخسهم حقوقهم، أو نقض عهودهم ومواثيقهم، ولا يعني عدم الإحسان إليهم أو غشهم، أو خيانتهم أو الغدر بهم، فهذا هو المفهوم الصحيح لعقيدة الولاء والبراء.

وكثير من الناس لا يتصور وجود المحبة للكفار البتة، ويظنون أن محبة الكفار - المحبة الطبيعية - تنافي البراءة من الكفار، وهذا أصل خللهم لأن هذا الكافر قد يكون ابناً، وقد يكون أباً، وقد تكون أمّاً، وقد تكون زوجةً، فهل يعتقد أحد بأن الله قد كلفنا بغضهم، بمعنى أن نكرهمهم الكره الذي لا يصح اجتماعه مع المحبة؟!

فالمودة المنهي عنها هي في حقيقتها بمعنى التولي، وليس بمعنى المحبة الطبيعية التي يجدها الإنسان في نفسه، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ

أَحْبَبْتُ ﴿٢٤﴾ فَأُثْبِتَ محبته ﷺ لعمه، وهذا لا ينافي براءته من الكفار،
فالبغض والعداوة المطلوبة من المسلم للكافر هي التي تختص
بالدين (٢٥).

وهذا الفهم الدقيق لعقيدة الولاء والبراء، يجهله كثير من المبتعثين،
فيقعوا في الولاء المنهي عنه، أو البراء الذي لم يأمر به.

ومن صور الولاء المنهي عنه ما تقدم من التشبه بالغرب، والتهنئة
بأعيادهم ومناسباتهم الدينية، إذ يعد هذا من علامات المودة والمحبة
التي نهى المؤمن عنها لأصل الكفر (٢٦)، وكذا أيضاً الإكثار من مدحهم
والإعجاب بهم، دون ذكر ما هم عليه من فساد الدين والعقيدة.

(٢٤) سورة القصص آية: ٥٦. وهذا ما ثبت في الصحيحين من تفسير هذه
الآية: انظر: صحيح البخاري في كتاب الجنائز وغيرها رقم (١٣٦٠)،
ومسلم في كتاب الإيمان رقم (١٣١).

قال الإمام ابن كثير: «وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم
رسول الله ﷺ، وقد كان يحوطه وينصره، ويقوم في صفه ويحبه حباً
شديداً، طبيعياً لا شرعياً». تفسير ابن كثير ٢/٢٤٦.

(٢٥) انظر: الولاء والبراء بين الغلو والجفاء ص ١٨.

(٢٦) ولخطورة هذا الأمر، وكثرة الوقوع فيه، وسهولة سبل التهنئة اليوم، أنقل
كلام ابن القيم رحمه الله في بيان لحكم التهنئة حيث قال: «وأما التهنئة
بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم
وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن
سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده
للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر
وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده

ولهذا يقع الخطأ من بعض المبتعثين عندما يهاجم مظاهر الولاء والبراء الشرعية الصحيحة، ويحاول تذويبها بإشاعة عادات الكفار وتقاليدهم بين المبتعثين الآخرين، فإن نصوص الكتاب والسنة شرعت لنا أحكاماً كثيرة مبنية على النهي عن موالاة الكفار، وهذه الأحكام الشرعية لغرض ترسيخ البراءة من الكفار في قلوبنا كمسلمين، وجعله واقعاً عملياً ومعنى حياً، فكيف يرضى المبتعث أن يذوب في المجتمعات الأخرى، وأن ينخلع من عقيدته وحضارته وتاريخه.

وعلى هذا ينبغي للمبتعث مراعاة كافة أحكام الشريعة المتعلقة بالغرب فشرع الله عدلاً ورحمةً للعالمين، فلا تلازم بين الإحسان والعيش الكريم والتسامح في المعاملة، وبين الموالاة للكفار، أو ترك البراءة منهم، فالولاء والبراء أصل شرعي دلت عليه نصوص شرعية كثيرة^(٢٧).

يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنا عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه». أحكام أهل الذمة ص ٢٣٤. وانظر: الولاء والبراء في الإسلام ص ٩.

(٢٧) انظر: الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه ص ٢٥.

المبحث الثالث

الآثار السلوكية في الابتعاث

المطلب الأول

في السلوك الاجتماعي

إن من آثار الابتعاث تغيير السلوك والقيم الاجتماعية، ولعل أظهر تغيير في هذا السلوك القضايا المتعلقة بالحجاب، والاختلاط بين الجنسين، والعلاقات الأسرية.

ولاشك أن بقاء المبتعث في ديار الغرب له الأثر الكبير في بلورة هذه المفاهيم، من جهة رفض التقاليد لثقافة المجتمع الإسلامي، أو التقليل من شأنها.

فليس بمستغرب أن تسمع من بعض المبتعثين التهمك والتقليل بشأن السلوكيات الاجتماعية في بلادنا، والافتخار والتبجيل للمجتمع الغربي وسلوكياته الاجتماعية، وهذا الكلام يشهد له الواقع.

فمثلاً الحجاب، ما إن تبقى المبتعثة وقتاً يسيراً إلا وتجدها تخففت من حجابها، إن لم تكون أزالتها، إذ أنها ترى الحجاب أمراً من العادات والتقاليد ليس إلا، تنتهي هذه العادة بمجرد ركوب الطائرة، المتوجهة لمقر البعثة، وهذا النزاع للحجاب قد يكون تدريجياً فيبدأ أولاً بكشف الوجه وبعض الشعر، ثم قد يغطي الشعر أحياناً لكن الجسم كاس عاري، فأصبح الحجاب مجرد لفافة توضع على الرأس، إن وجدت أحياناً، وهذا بسبب أن اعتبرت الحجاب عادات وتقاليد وثقافة بلد تنتهي

بمغادرته، أو أن الحجاب حرية شخصية تخص كل امرأة ونظرتها للحياة والمجتمع.

أما المبتعثات المحجبات، فهناك من تتحجب فقط إرضاءً للزوج أو الأب، أو عند وجود سعوديين ينظرون إليها أو قريباً منها، وأولاتي لا يستبعد منهن نزع الحجاب، متى ما ابتعدت عن أنظار هؤلاء، مع ما تطلق من تساؤلات عن الحجاب، الغرض منها التشكيك في شرعيته، وتغيير القناعات فيه، وهذا الصنف تجده نازعاً لحجابه داخل أروقة الدراسة، أو عند السفر إلى أماكن لا يعرفه فيها أحد.

هذا صنف، وصنف آخر تمسكن بحجابهن معتبرات الحجاب فرضاً دينياً، ليس مانعاً لهن من الدراسة والاستفادة العلمية، فخورات بتطبيق الشرع والمحافظة على دينهن وثقافتهن، لهن نظرت إكبار وإعزاز، حتى من أصحاب البلد أنفسهم.

أما من ناحية الاختلاط، فليس حديثنا هنا عن تحريمه أو جوازه وصور ذلك، لكن نتحدث عن واقع للمبتعثين موجود، فالحديث ينصب على أنه يجب على المبتعث أن يعرف خطر الاختلاط، وما ينطوي تحته من شرور وفتن، وأن يقتصر فيه على الضرورة العلمية في ذلك المجتمع الغربي، ويتعامل المبتعث مع هذا الاختلاط أن اضطر إليه في المحاضن التعليمية بحذر وحزم، ملتزماً بتعاليم دينه نحو هذا الأمر، الذي إن فرط فيه كان بوابة نافذة لهلاكه، فالمبتعث عليه أن يحترم دينه وخلقه، وأن يظهر للمجتمعات الغربية حسن ديننا وكريم شيمنا، والأمر على المبتعثة أكبر من لزوم الحياء والمحافظة على الحجاب.

ما نذكر هنا هو الواجب الالتزام به، لكن الواقع المشاهد مع الأسف، إهمال كبير في هذه المسألة الخطيرة، فكم ترى من بعض المبتعثين من الجنسين من يعقد الصداقات والجلسات المتبادلة مع الجنس الآخر، غير آبه بحكم الاختلاط وما يجر من خزي وعار في الدارين، بل وصل الأمر أن وجد صديقات للمبتعثين (قير فرند) وأصدقاء للمبتعثات (بوي فرند)، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ناهيك عما يصحب ذلك من مفاهيم خاطئة، تدعوا للاختلاط ونقل من شأنه.

وليس هذا في العموم بل يوجد من المبتعثين، من هو قدوة صالحة حريص على حياته ودينه، يأتي من هذا الاختلاط ما كان للضرورة فقط، في محاضن التعليم دون أي خلوة، أو فرصة لريبة.

أضف إلى ذلك تلك المفاهيم الخاطئة حول الأسرة والعلاقات الزوجية، فإذا رُبيت أمهات الأجيال على مثل ذلك، لا شك أن جيلهن يكون على شفا جرف هار ينهار بأفراده إلى القاع والحطيط.

يضاف إلى ذلك التزوج من الأجانب في ديار الغرب، وهذا له آثار ومخاطر دينية واجتماعية، يسلب البيت الإسلامي روحه الإيمانية ويبدد من قيمه السامية، كما يجب أن ندرك أن الزواج بالأجنبيات ينشأ بسبب دواع عارضة من استلطاف في أمر معين، أو فورة عاطفية، أو انفتاح

نحو البيئة الجديدة، أو الهروب من الوطن، إذ أن بعض من يتزوج بأجنيبات يسعى إلى الإقامة الدائمة في بلاد الغرب^(٢٨).

ونسمع من عدد ممن جاء من تلك الديار في بعض الإجازات ينتقد كثيراً من نمط الحياة عندنا، حتى طريقة ونوعيات الأكل واللبس، وكثيراً من العادات، متأثراً بأساليب الحياة الغربية، وقد وصل الحال ببعضهم أنه وبعد تخرجه صار لا يتحمل العيش والبقاء في البلاد التي ولد ونشأ فيها، وهذا ما يفسر كثيراً من الإفرازات السيئة التي نطالعها على صحفنا اليومية، من كتابات عدد من أصحاب التوجهات العلمانية والبرالية والتي تصادم الشريعة مصادمة صريحة وواضحة، فلو بحثنا لوجدنا أن جلهم ممن تعلم ودرس في بلاد الغرب.

حدوث فكر جديد مهووس بمحاربة العادات والتقاليد والمجتمع، المطالبة بالحريات المحرمة ومساواة المرأة بالرجل فيما حرمه الله تعالى، انتشار العادات الغربية والموضات المخالفة، تبني ثقافات ونظريات محرمة، يعملون على إلزام مجتمعنا بتطبيقها.

ومن الآثار الخطيرة تخلف المبتعث في لغته الأم، اللغة العربية، وقد يكون تخلفه هذا سبباً يدعو به إلى أن يقف مسيئاً للغته وأمته، فبعض المبتعثين خاصة من جاء بعد مرحلة الثانوي، بقيت ثقافته على

(٢٨) وقريباً من ذلك: من قل انتمائه للوطن وتنكفه واحتقره، قاس مواظنته بالمقاييس المادية فحسب، ولذا ما يقرب من ثلاثمائة طبيب اختاروا العمل في دول الابتعاث. أنظر: صحيفة الوطن، عدد «٢٥٩٨» في ١٠/١٠/٢٠٠٧م.

ضحالتها تجد العجب في ضعف إملائه وقراءاته العربية، ظاناً أن تعلم اللغة الإنجليزية كل شيء، وأنه لا قيمة للغة العربية، وهذا الضعيف بلغته وثقافته بعد تخرجه قد يولى منصباً فقط لأنه يحسن اللغة الإنجليزية التي قد لا يحتاجها في منسبة هذا أبدأ، ثم بعد ذلك لا تسأل عن ضعف إدارة هذا المنصب وتخطئه فيه، ناهيك عن ضحالة ثقافته وقلة قراءاته.

ويشدد الأمر في أولئك الأبناء المرافقين، الذي يجد الواحد منهم أنه انصهر في ذلك المجتمع الغربي وأتقن لغته، لكنه مع الأسف نسي لغته الأم وثقافته، بل نسي قرآنه ودينه، وظهرت عليه آثار الثقافة الغربية.

وهذا يعني الألفة لأسلوب الحياة الجديدة، والتعود على الممارسات الاجتماعية، وعدم استغراب المسلمات الثقافية لهذه الثقافة الجديدة، مما يكون له الأثر البالغ على المبتعث ومن يعول، في التحولات في السلوكيات الاجتماعية، والميول النفسية^(٢٩).

وعلى هذا ينبغي للمبتعث التنبيه لنفسه ولمن تحت يده، في تطوير لغته الأم، والقرب من ثقافته وتعاهدها حتى لا ينساها، فيجد نفسه بعد رجوعه إلى مجتمعه في غربة وضعف له ولأبنائه.

ويتبع هذه الآثار السلوكية الاجتماعية، ما يجده المبتعث في نفسه، من التقلت من الرقابة الاجتماعية فليس هناك أب أو قريب أو قبيلة يستحيي منها، سيما وقد غاب قبل ذلك الرقابة الذاتية، فينشأ عند المبتعث ما يسمى الحرية الشخصية فيفعل ما يشاء متى شاء، وأن أي

(٢٩) انظر: العولمة ماهيتها ونشأتها ص ٧، ١٣.

نصح أو توجيه يعد من التدخل في خصوصيته، ويصاحب ذلك نسيانه لحق والديه والتمرد عليهما، وأن لا فضل لهما عليه فهي حياته وهو حر فيها، في صدقاته في تصرفاته في هيئته، غير سامع أو معتبر لما يقولانه، بل أنه ليس على صحبتها بعزیز، فهو يحاكي ما يراه ويلامسه من هذه الحياة الغربية والتقلت الأسري الكبير فيها.

هذه بعض الآثار والتغيرات السلوكية الاجتماعية، التي ترى وتلامس بعض المبتعثين.

وخلاصة القول أن المبتعثين في هذه السلوكيات الاجتماعية بين مقل ومستكثر، ساخط على مجتمعه يريد التقلت منه بأي وسيلة، ومن عرف المجتمع الغربي وسلوكه فربى نفسه على المحافظة والالتزام بثقافته وهويته.

المطلب الثاني

في فعل المنهيات وترك الواجبات

عند النظر للمبتعثين في ديار الغرب تجد خضماً واسعاً من المخالفات في فعل المنهيات وترك الواجبات، ولا شك أن لبيئة بلاد الغرب يداً طولى في ذلك، إذ أن المنكرات منتشرة مباحة، فأماكن الخمر وبيعها، والمجون بأنواعه، لا تحتاج إلي عناء بحث، ولا كلفة حياء لورودها إذ ذلك ثقافة البلد الغربي، مسكرات خمر أماكن مجون وملاهي ليلية، بأسطة ذراعيها هيت لك، ثم يأتي مبتعثنا الذي بزعمه حُرْم من ذلك، أو أن حصوله على مثل ذلك في بلده بمشقة مشوبة بخوف، فيعب في ميادين تلك الحضارة الملوخة بالمنكرات المصبوغة بالرديلة، جاهداً في الوصول إلي ما ظنه ممنوعاً عنه مقيداً لحريته في بلده، مع ما هناك من صحبة يدعونه إلى الشر ائتئا، لذا تكثر لدي المبتعث المخالفات السلوكية بترك الواجبات وفعل المنكرات، إلا ما رحم ربك منهم.

ولعلني أذكر على عجالة أهم هذه المخالفات السلوكية التي يقع فيها المبتعثين، وإن كان لها شبيه في بلادنا، فالمخالفات موجودة في كل مكان، لكن خصصت المبتعث -كما تقدم- لأن الحصول عليها في بلاد الابتعاث أيسر، والرقابة عنه أبعد، وهو أيضاً المعني بهذا البحث والدراسة. فمن أمثلة تلك المخالفات:

- المخدرات: تعد المخدرات من أخطر المزالق في حياة المبتعث، إذ الوقوع فيها بداية النهاية لهذا المبتعث، ومما كان مساعد للمبتعث في

الولوج لهذه الدائرة المحمومة، أن المخدرات قد يسمح في بعض أنواعها للاستعمال الشخصي في بعض الدول، فتأتي مرحلة التجربة، وهي مرحلة عادة ما يقلل من شأنها متعاطي المخدرات، وبها ينقاد إلي مراحل الهلاك.

يضاف لذلك انتشارها في المجتمع، أو السهولة في عقوبة متعاطيها، مع ضعف الوعي والمتابعة التامة لهذا المبتعث، مع ما حوله من بيئة وصحبة أضعفت صلته بالله، كل هذا وغيره كان دافعاً وراء وقوع بعض المبتعثين في المخدرات، التي متى وقع فيها وقع في شرور كثيرة، من اغتصاب وضرب وسرقة، وغيرها، يدرك ذلك من قرأ وطلع الصحف اليومية الداخلية أو الخارجية^(٣٠).

ولكن والله الحمد هذه الأعداد تعد قليلة، ونستطيع القول أن الوقوع في المخدرات ليست ظاهرة بين المبتعثين، وإنما هي في دائرة القليل، وحتى لا يستفحل هذا القليل، ينبغي التنبيه عليه وأخذ الإجراءات الصارمة تجاهه، حتى ينتهي بإذن الله.

- شرب الخمر: (الكحول Alcohol) هذا من المواضيع المطروحة بكثرة، فلا تكاد ترى منتدى أو موقع يتحدث عن المبتعثين، إلا ويذكر هذه المخالفة، والناس بين معظم للأمر، وأن كل المبتعثين أو عامتهم

(٣٠) انظر: بعض الصحف الذاكرة لذلك: جريدة الرياض يوم الاثنين

١٤٣٠/٥/٢ هـ ————— عدد ١٤٩١٧. رابط الخبر:

<http://www.alriyadh.com/٢٠٠٩/٠٤/٢٧/article٤٢٥١٧٢.h>

tml

يشربون الخمر، وبين مقل لهذا الأمر حاصراً له على القليل، والأظهر أن الكل يحكم على ما يرى أو البيئة القريبة منه، ونظراً لأهمية هذا الأمر وأن الحكم فيه ليس لمجرد المشاهدات أو السماع، حاولت جاهداً أن أرصد هذا الأمر بالسؤال والتحري، وهذا ليس كافٍ في نظري بل جعلت الفاصل في ذلك سؤال المبتعثين أنفسهم عن طريق الاستبانة المعدة لذلك، حيث سجلت النسبة ٥٨% لسؤال طرح حول هل شرب الكحول منتشر بين الطلاب المبتعثين؟، ونسبة ٤٨% لسؤال حول هل تجالس أناس تتناول الكحول؟، ومن هنا يتضح أن شرب الكحول يعد من أكثر المخالفات المنتشرة بين المبتعثين.

وليس الأمر يقتصر على الشرب فقط، بل ما بعد الشرب والسكر من فساد أعظم وأدهى، وكثير من القضايا الأخلاقية، والعدوانية تأتي بعد غياب العقل بهذا المسكر^(٣١).

- الأخلاقيات: والمراد بها العلاقات الغير شرعية، وهذه أشدها الزنا، وتتدرج تنازلياً حتى تشمل المصافحات الغير مبررة والمعانقة والجلسات والخلوات غير الشرعية.

وغير الفاحشة الكبرى، يعدها المبتعث من الأمور العادية، وليست مخالفةً شرعية، جلسات سفر قبلات معانقه، كل هذا وغيره يعد في محيط العادي أو الشيء الطبيعي، حتى إذا انتقد أحدهم في مثل ذلك من

(٣١) طالع على سبيل المثال بعض الصحف المحلية والعالمية وما تذكر من

قضايا للمبتعثين حول شرب الكحول، كصحيفة الرياض عدد «١٥٣٦٩»

في ١١/٨/١٤٣١هـ.

صحبة فتاة أو معانقة أو الخلوات في سفر أو سكن، عاب على منتقده وبرر ذلك أنه لم يقع في المحظور الأكبر، هذا التصرف وغيره يدل على جهل المبتعثين بعامة في أحكام الشريعة، كما يوضح خفة وقع المنكر في نفسه، لكثرة ما يرى ويشاهد من هذه الصور، حتى ألف المنكر وظنه أمراً مباحاً، أو أنه من ملتزمات الصحبة للجنس الآخر، وقديماً قيل: كثرة المساس تذهب الإحساس، مع ما يصاحب ذلك من قلة حياء من الله ومن عبادة، حتى استمرأ المنكر واعتيد المجاهرة به، بل يصل الأمر إلى المفاخرة فيه.

والأخطر في مثل هذه المخالفات، أن يعتبرها المبتعث حرية شخصية ليس لأحد أن يتدخل فيها، أو يأمره أو ينهاه، بل يعجب في هذا البلد لمنحه الحرية المطلقة في أن يعمل من شاء ما يشاء، متبجحاً بذلك إذ يقول: ما عرفنا الحرية إلا هنا، ولا شممنا رائحة الحرية إلا في بلادهم، ويستمر في الدعوة إلى الحرية في كل شيء، والتقلت من كل قيد، حتى يقتنع هذا المبتعث أن التمسك بالأخلاق قيد للحرية، بل التمسك بالدين بعامة قيد للحرية .

- الغفلة والتهاون في أمور الشرع بعامة، فإن من عوفي من الوقوع في حمئة الرذيلة، يتسرب إليه التهاون في أمور الشرع بعامة، كصلاة الجمعة والجماعة، لعدم قرب المساجد وسماع الآذان، ووجوده ببلد غير مراعى لهذا الأمر، مما يجعل المبتعث يتهاون بالجماعة ثم الصلاة ثم يقتصر على الجمعة أحياناً، مع ما يلحق ذلك من التهاون بقراءة القرآن، والبعد عن أمور الشرع والعبادات بعامة.

ولذا جاء في الاستبانة أن ٤١% تقريباً قلت لديهم المحافظة على الصلاة، وقريباً من هذه النسبة كانت الإجابة بنعم حول سؤال: هل قلّ الخوف لديك من الحرام؟.

تلك البيئة التي تنتشر فيها مثل هذه المخالفات، والحريات القدرة المفتوحة، ليس لدى المبتعث القدرة على مقاومتها أو السلامة منها إلا ما رحم الله.

يدل لذلك أن أكثر من ٨٥% أجابوا بـ «لا»، حول سؤال: هل تظن أن لديك القدرة على مقاومة الفتن في بلاد الغرب.

يقودنا ذلك إلا التركيز في اختيار المبتعث، مع ما يضاف من إقامة الدورات التربوية المناسبة في ترسيخ العقيدة والسلوك السوي قبل الابتعاث وأثناءه.

المطلب الثالث

التغيير في القيم والأخلاق

يتبين أن الفترة التي يقضيها المبتعث في دولة الابتعاث سيما الدول الغربية، لها أثر بارز في تغيير كثير من القيم والأخلاق، ومضى القول في ذلك التغيير المشين وتلك الأخلاق السيئة لدى الغرب، لكن يبق القول أن هناك تغيير ليس شرطاً أن يكون نحو الأسوأ فهناك قيم وأخلاق لدى الغرب، تعد من محاسن ديننا الإسلامي، لكن ومع الأسف أن جملة من المبتعثين ينصرفون ويتشبهون بما لدي الغرب من مساوئ الأخلاق والصفات، تاركين محاسنها، أو متمسكين بها فقط حال تواجدهم في دولة الغرب، إما للإجبار بها، أو لأن المجتمع بعامة ملتزم بها يتضح وينفضح ويقع في الحرج من أخل بها، تلك القيم التي هي من قيم دين الإسلام ومحاسنة.

ولعلي هنا أذكر أهمها، وإن كان المبتعث من قبل يعرفها، لكن أعني ملامسة هذه القيم في مجتمع طبقها، وهنا تكمن آثار الابتعاث الايجابية، لو أن المبتعث عرف والتزم محاسن المجتمع الغربي، ومن تلك القيم الحسنة على سبيل المثال:

الالتزام بالوقت: سيما في المواعيد، والذي لا اعتبار له في الغالب في مجتمعاتنا، وقل مثل ذلك في الوفاء بالعهود والصدق ومراعاة الأمانة، والالتزام بالنظام، إذ أنك ترى إسلاماً بلا مسلمين.

ومما هو شائع بينهم تطبيق قول النبي ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(٣٢)، إذ ترى ذلك صورة حية في ذلك المجتمع فالكل مقبل على شأنه يعنيه ما يخصه، أو يُطلب منه.

لكن مع الأسف في مجتمعنا الكثير ينصرف عن اهتماماته بما حوله من حال الناس، أو يهتم بحاله وما يعنيه، لكن لا بد من تخصيص وقت للاطلاع على حال الناس وما لا يعنيه منهم، بل يعد في مجتمعنا من لا يعرف ما لا يعنيه من ضحال المعرفة، ويرم بأنه لا يعرف شيئاً، أو لا يتابع الحدث، ولو أنا أمة الإسلام طبقت قول نبيها ﷺ، لفضل عندها حيز كثير من الوقت والتفكير.

بل إن الاهتمام بهذا والتقصي في أحوال الناس وأرزاقهم، مدعاة لكثير من أمراض القلوب، أولها الحسد والتشاحن، ومن ثم إما الكذب وستر النعم، أو الإخبار على مضض والتخوف من العين وما يتبعها من الأمراض النفسية.

(٣٢) الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ (١٦٠٤/٢): عن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». وكذا الإمام الترمذي (٢٣١٨/٤)، وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٣١٧/٤) وابن ماجه (٣٩٧٦/٢) وابن حبان (٢٢٩/١) والبيهقي في الشعب (٢٥٥/٤) عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه به. والحديث حسنه الإمام الترمذي فيما نقله الإمام ابن حجر عنه في فتح الباري (٣٠٩/١١)، وحسنه النووي في الأربعين والأذكار (٣٣٤) ورياض الصالحين (٥٦)، وقال البيهقي: إسناده الأول أصح، وصححه الإمام الألباني في الجامع الصغير ص: ١٠٨٦، وفي مشكاة المصابيح ٤٩/٣.

وحتى لا يقع الخلط في المفاهيم، قد يوجد من لا يميز بين هذا الذي هو من حسن إسلام المرء وهو ترك ما لا يعني، وبين الأمر بالعروف والنهي عن المنكر وتوجيه الناس والنصح لهم، إذ وجد بين الناس خاصة ممن عاش في بلاد الغرب أو تأثر بهم من لا يحسن التفريق بينها، ويعد الأمر بالعروف والنهي عن المنكر من التدخل في الخصوصيات، أو الحريات الشخصية زعموا.

ومما يعد من محاسن الثقافة الغربية عدم الاهتمام في المظاهر الخارجية، فعند الغرب المظاهر ليست مقياساً للمرء، أو لما يحسنه، بل لا قيمة لها ولا ينظر إليها، فليس بمستغرب أن ترى أستاذ الجامعة يأتي على أقل أنواع السيارات أو على النقل العام كالباص، وأحياناً على دراجة هوائية، ويزيد استغراب المرء لما يرى مثل ذلك في النساء أيضاً.

إن المجتمع الغربي بعامة ليس معياراً للمظهر والمظاهر الخارجية اعتباراً كبيراً، بخلاف ثقافتنا التي تهتم بتلك المظاهر اهتماماً مفرطاً، وهذا يدل أحد داليتين، أما أننا أمة جاهلة نعتبر الناس ونقيسهم بمظاهرهم وأشكالهم دون مخبرهم وباطنهم وما حقيقة ما يحسنون، أو أننا نجد قصوراً في أنفسنا وحقيقة ما نحسنه وعدم قناعة وثقة بذواتنا، نغطي هذا النقص بهذه التشكيلات والهالات التي نظفها على مظاهرنا لتغطي سوءاتنا الداخلية.

هذا جزء من بعض القيم والأخلاقيات، التي تراها في المجتمع الغربي، مع ما يضاف إلى ذلك من الاهتمام بالابتكار والإبداع، ورعاية

ذلك في عقول الصغار والكبار، مع التربية على الالتزام بالنظام، والمعرفة به، وبهذا النظام والحرص على المحافظة عليه، ومعاقبة من يخالفه أو يستخف به أياً كان، تتسجم وتطيب أمور دنياهم.

وأضف إلى ذلك حسن استغلال للوقت، وتفعيل للمكتبات والقراءة، واهتمام بالصحة والرياضة، مع عدم سهرٍ وحب للعمل والحرص عليه، والقيام به بكل ثقة وأمانة، وتقديم الصالح العام على الخاص، وهم مع ذلك كله بعيدين كل البعد عن التعقيد والبروقراطية المقيتة.

مع تقدير للعمل التعاوني والتطوعي، ومحاولة التربية عليه، وقيام المرء بحاجاته بنفسه، دون الاتكالية أو البحث عمن يخدم أو يساعده، والتغيير من نمط الحياة الاستهلاكية.

وغيرها مما يحسن بمبتعثينا أن يكون لهم نصيب من هذه القيم والأخلاق إذ هي في حقيقة الأمر أخلاق ديننا وقيمه.

وهذه السمات والأفكار والقيم للمجتمع الغربي، السلبية والإيجابية، يتعرض لها المبتعث ويخالطها، ويقع تحت تأثيرها، وعليها المسؤولية الكبرى في التحولات العقدية والسلوكية لدى المبتعث، من استفاد من حسنها أحياناً في نفسه وربى محاسن دينه، ومن توجه إلى سيئها، تنكف لدينه ومجتمعه، وخسر دنياه وآخرته.

أهم التوصيات

من المهم في نهاية هذا البحث أن توضع بعض التوصيات، والتي قد يكون سبق الإشارة إلي بعضها، هذه التوصيات التي أرى أهميتها أو النظر فيها، من أصحاب القرار وقادة الرأي في المجتمع، ومحاولة دراستها وتطبيقها، وقد تكون باباً لعمل ما هو أفضل وأنفع في هذا البرنامج الكبير:

أولاً: توضيح الهدف الأساسي من الابتعاث، ومحاولة تعاهده والعمل على تحقيقه، فإن أي مشروع بلا هدف أو في هدفه غبش يعد مشروعاً مآله إلى الفشل، وقريباً من ذلك أن يكون الهدف مكتوباً ومعروفاً، لكن عند تطبيقه والعمل على تحقيقه نخالف ما خطته أيدينا، فنجد أفعالنا في اتجاه والهدف في اتجاه آخر.

وهنا يأتي سؤال ملح ما الهدف من الابتعاث، هل هو تأجل لمشكلة التوظيف، وإرسال هؤلاء النشء دراسة ومكافأة أحسن من راتب التوظيف، إذ وجد من المبتعثين من يحمل هذا التصور، ويحاول جاهداً الاستفادة من كل مدة البعثة، بل وطلب التمديد وإن أَسْتَطَاع الانتهاء مسبقاً، كل ذلك معلل بأن ما أنا فيه خير من الرجوع، أو الهدف أن يتكلم المبتعثين اللغة، ويكفي من المبتعث أنه أتقن اللغة فقط، وهذا لا شك أن مفيد، لكنه لا يمكن أن يكون الهدف من الابتعاث، فلا يعني تكلم اللغة فقط هو القدرة على المعرفة والإتقان، والاستفادة من العلوم والمعارف، وهناك من يشير إلى هدف آخر هو خروج النشء، واتصالهم بالبلاد الغربية والتعلم من ثقافتها، أهم من تعلم علومها، وهذا

بنس الهدف، فتقافتنا خير من ثقافتهم، هذه التخططات في معرفة الهدف الحقيقي من الابتعاث تجدها عند المبتعثين أنفسهم، وسبب في ذلك لما يرون من نوعيات المبتعثين الدارسين، إذ أنهم أبعد كل البعد عن الهدف المعلن من جهة الابتعاث، وهو نقل العلوم والمعارف والتقنية عبر هؤلاء المبتعثين إلى بلادنا.

وعلى كل حال تحديد الهدف من الباعث والمبتعث نصف النجاح، والعمل على تحقيقه النجاح كله، وإن كان هذا هو الهدف، فهل أتقنت العمل لتحقيقه؟

يظهر أنه مع الأسف لم يتناسب العمل مع تحقيق الهدف بنسبة كبيرة، لذا جاء التباين في معرفة الهدف ممن أنيط بهم العمل لتحقيق الهدف.

ولسمو هذا الهدف وأهميته، لا بد من إعادة النظر في هذا المشروع الكبير، فنقل العلوم والتكنولوجيا إلى بلادنا يعد من المهمات، ونحن اليوم بأمر الحاجة إليه.

وإن قلنا أن الابتعاث من الروافد لهذا الأمر، فلا يصح أن يكون رافداً، وهو بهذا التخط في اختياره لمن يؤدي هذا الغرض على أكمل وجه، فلا بد من ابتعاث نخبة يكون الهدف لديهم واضح، جاهدين في تحقيقه، ثم يتلو ذلك خطوات عملية، في نقل هذه العلوم ومن ثم إنتاجها في بلادنا، ومن أهم أدوات هذا النقل إنشاء الجامعات والمراكز البحثية ذات الجودة العالية التي يمكن من خلالها متابعة ونقل الدراسات

المتميزة، ثم بعد ذلك يمكن تفعيل دور البعثات النوعية، والتي تكون لدراسة أمر معين، في وقت محدد.

لكن أما وإن واقع الابتعاث يحتاج إلى التوجيه نحو الهدف المراد، وتقديم ما هو أفضل، فنأتي على الأمر الآخر وهو:

ثانياً: البحث وبجدية عن السبل التي تكون كفيلة لحماية المبتعث، من التأثير العقدي والسلوكي، ولعل من أهم السبل لذلك ما يلي:

أ- لا شك أن المبتعثين يختلفون في الاستجابة لضغوط الثقافة الغربية ويتأثرون بها بطرق مختلفة، ولكن العنصر الأساس في هذه المعادلة هو مستوى التحصين العقائدي والفكري لدى المبتعث، فكلما ارتفع هذا المستوى من التحصين، كلما كان التأثير إيجابياً وموجهاً نحو الوجهة السليمة، وكلما قل هذا المستوى من التحصين، كلما كان التأثير سلبياً ونحو الوجهة الخاطئة.

وتبرز أهم معالم هذا التحصين، في الدورات المكثفة في هذا الشأن قبل توجه المبتعث نحو الدراسة، وكذا في أثنائها، فبلادنا ترسل المتخصصين لإقامة الدورات العلمية في عامة البلاد للمسلمين، فلا أخرج من أبنائها في تلك البلاد.

فكلما تحصن المبتعث عقائدياً وسلوكياً، تكون حوافزه للتعلم أقوى، وإنجازه أفضل، لشعوره بالمسؤولية تجاه وطنه وأمتة الإسلامية، ومن ناحية إنسانية، يتعامل تعاملًا مباشراً مع الحضارة الغربية، ويتعرف عن كثب على مشكلاتها وانحرافاتهما، ويستفيد من بعض جوانبها الإيجابية التي وفرت التميز والريادة للمجتمعات الغربية، وبهذا يستثمر

المبتعث هذه التجربة الحضارية «الدراسة والحياة في الغرب» استثماراً علمياً واعياً على مستوى شخصه، ومستوى الأمة التي ينتمي إليها.

ب- الاهتمام بالمبتعث، اهتماماً مستمراً، ولا يقتصر الاهتمام فقط على المتابعة في المشاكل العلمية فيكون مهمة الملحقية إصدار ضمان مالي أو تذاكر سفر، وإن كان هذا مهم، لكن الجانب الآخر مهماً أيضاً، من متابعته المبتعث فكرياً وسلوكياً، فلا يترك المبتعث يواجه ضغوط الحضارة الغربية معزولاً بمفرده، والسعي لإيجاد الحلول المناسبة لما يقع فيه المبتعث من مزالق فكرية أو سلوكية في بلاد الغرب، ويتم ذلك بإيجاد برامج متكاملة تخدم هذا الغرض المهم.

ج- إن على الجامعات على وجه الخصوص مسئولية عمل دورات وبرامج توجيهية للمبتعثين للخارج، يتم فيها تعريف المبتعث على الأنظمة والتقاليد الجامعية، والثقافة الغربية، وأنماط السلوك التي قد يواجهها، ويتم عن طريق هذه البرامج أيضاً تحصين الطلبة فكرياً وسلوكياً، وجعل البديل الحضاري الإسلامي واضحاً أمام الجميع^(٣٣).

د- يوصي المبتعث بفهم الأبعاد النفسية والثقافية للابتعاث للخارج، ويتعرف على مدى أهمية مثل هذه الأبعاد في صياغة أنماط فكرية وسلوكية في شخصيته، وأثر ذلك عليه شخصياً وعلى الأمة التي ينتمي إليها، وفي ضوء هذه الرؤية، عليه أن يتعامل مع البيئة الثقافية الاجتماعية الجديدة بطريقة تضمن له الاحتفاظ بتميزه الفكري والسلوكي

(٣٣) انظر: المبتعثون السعوديون إلى كندا والتحديات العقدية ص ١٦، والابتعاث

إلى الخارج وقضايا الانتماء ص ٨٨.

الإسلامي، وفي الوقت نفسه تمكنه من معرفة أصول ومظاهر الثقافة الغربية بأفكارها ومسلّماتها واتجاهاتها.

هـ- يوصي المبتعث أيضاً بالأخذ - بفعل العادة والألفة- إلى الاستسلام للأفكار والمسلّمات والاتجاهات الغربية في الفكر والسلوك، بل يكون دائم التقويم لها وتطوير الحس المقارن بينها وبين الإسلام، بحيث لا تسيطر عليه مظاهر الانبهار والإعجاب بها.

ثالثاً: الاستفادة من المؤسسات والمراكز الإسلامية الموثوقة، الموجودة في بلد الابتعاث في الغرب، فالمبتعث سيما في أول مجيئه بحاجة للمساعدة في فهم المظاهر الفكرية والسلوكية للثقافة الغربية، وأيضاً في حاجة للمساعدة الشخصية، والتشجيع والمواساة، وتبديد مشاعر الغربة، وتهيئة الظروف له لتدعيم انتمائه للعقيدة والحضارة التي يحملها، فعلى الملحقّيات في الخارج مدّ الجسور مع هذه المؤسسات والمركز الإسلامية الموصّية بها، لوضع البرامج المساعدة للمبتعثين في التوجيه والحفاظ على الهوية والعقيدة الإسلامية، في ذلك المجتمع الغربي.

رابعاً: على الجهات المسؤولة عن الابتعاث التدقيق في الاختيار، وذلك في عدة أمور أهمها:

أ- المبتعث نفسه، حيث لا يرسل إلا من هو جدير بالابتعاث، وعند النظر في برنامج الابتعاث وشروطه، ترى شروطاً جد قوية، لا يستحق الابتعاث إلاّ الجاد المتميز دراسياً، ولو أن الأمر توقف عليهم لغابت كثير من مشاكل الابتعاث الدراسية والسلوكية، ولكن مع الأسف أن

عامة المبتعثين هم ممن ألحقوا بالابتعاث ممن لا تتوفر بهم شروط الابتعاث، وهؤلاء جمعوا مع الضعف الدراسي التقلت السلوكي، فهما في الغالب يجتمعان، كما أن الجد وحسن السلوك في الأعم الأغلب يرتبطان.

ب- النظر فيما يبتعث له المبتعث من دراسة، وأعني التخصص الذي يرسل إليه، فعند الاطلاع على تخصصات المبتعثين نجد أن عامتها في تخصصات متشابهة، هي من أقل التخصصات في الجامعات والتي لا تميز فيها، وذلك بسبب تدني مستوى المبتعثين، فيضطرون إلى هذه التخصصات، والتي لا تخدم الهدف من الابتعاث، في إدخال العلوم النافعة إلى بلادنا، وبهذا تدرك لماذا بعض المبتعثين عند رجوعه لبلاده لا يجد وظيفة عمل.

ج- كذلك لابد من التوجيه لجامعات قوية، تكون متميزة في دراستها ومراكزها البحثية، ولكن مع الأسف نظراً لحال عامة المبتعثين في الضعف وعدم القدرة في الاجتياز، يبحث عن معاهد فنية - أنشأت في الأصل للديبلومات - تُعطي الطالب شهادة بكالوريوس، ثم تأتي التوصيات عليها فيكون روادها هم مبتعثونا.

خامساً: عامة أخفاقات المبتعثين العلمية والسلوكية، تأتي في مرحلة اللغة، سيما السنة الأولى منها، ولذا كان من الأفضل فيما أظن أن يشترط على مريد الابتعاث دورة علمية توجيهية، تمتد لمدة عام دراسي، تكثف فيها دراسة اللغة الإنجليزية، مع مواد في ترسيخ العقيدة والثقافة الإسلامية، وبعض المعلومات العامة عن البلد المبتعث

إليها، وهذه الدورة المكثفة يشترط على الطالب أن يجتازها بدرجة معينة في اللغة الانجليزية، تسهل له إكمال دراسته، ويعرف بها جدية الطالب في دراسته، ورغبته للابتعاث والاستفادة منه في حياته العلمية، وهذا ليس فيه تطويل لمدة الابتعاث إذ أن المبتعث يمنح فترة سنة لدراسة اللغة وتمدد ستة أشهر إضافية، قد لا يستطيع المبتعث اجتياز اختبارات قياس اللغة كالتوفل والـ آيلتس، والسبب أن المبتعث يأتي خال الوفاض من أي معرفة باللغة، بل قد رأيت في بعض معاهد اللغة إيجاد مستويات أقل من المبتدئ هي خاصة بمبتعثينا، إلا أنه من خلال مناقشة عدد من الدراسين فإنهم يجمعون على أنه كلما كان الطالب قد حصل قدراً جيداً من اللغة قبل مجيئه؛ فإنه يقلل الفترة التي يقضيها في المعهد، كما أنه يسهل عليه التأقلم مع البلد المضيف، بسبب قدرته على تفسير أموره وقضاء حاجاته بنفسه، دون الحاجة إلى الاستعانة بالآخرين.

ومن هذا المنطلق فإن توفير معاهد عالمية لتعليم اللغات في الجامعات السعودية وتزويدها بالمدرسين الأكفاء، يساعد بدرجة كبيرة على تحقيق أهداف الابتعاث، والتقليل من فشل المبتعثين وعدم تكيفهم في البلدان التي سوف يذهبون لها.

وبوجد من يقترح أن تكون دراسة مرحلة اللغة على حساب المبتعث الخاص، فقط الجهة الحكومية «وزارة التعليم العالي» تدفع رسوم الدراسة، وليس للمبتعث أي مكافأة، حتى يتم له القبول المباشر للمرحلة التي يرغب دراستها، فكأن هذا المقترح خفف عن المبتعث رسوم الدراسة، وحته على الجد والاجتهاد ليجتاز مرحلة اللغة بأسرع ما يكون، ويلحق بالبعثة.

قد يقال أن المعلم والمشروط في الإلحاق بالبعثة، أن يدرس الطالب مرحلة اللغة، وثلاثين ساعة للبيكالوريوس، واثنان عشر ساعة للماجستير، على حسابه الخاص، لكن هذا المعلم لا وجود له في أرض الواقع إلى ما ندر، وهذا المقترح لدراسة الطالب مرحلة اللغة على حسابه الخاص يكون به الحد من الاخفاقات الدراسية والسلوكية في هذه المرحلة.

سادساً: المتابعة فترة الابتعاث، أناطت لائحة أحكام ابتعاث الموظفين بالملحقيات الثقافية مهمة متابعة المبتعث دراسياً، ورعاية كافة شؤونه أثناء وجوده في مقر دراسته، والملحقية تفتح لكل طالب ملفاً للعناية به، ومساعدته في مسيرته الدراسية وحل مشاكله الأكاديمية، الأمر الذي يجعل الإشراف يتحول إلى إشراف شكلي يقتصر على المتابعة الورقية فقط.

فلو تساءل متسائل: من المسؤول عن هؤلاء المبتعثين وتقلت بعضهم أخلاقياً ودينياً؟ لا شك إنها الملحقية، فالواجب على كل ملحقية رفع أدائها الوظيفي، وأن تكون المتابعة للمبتعث أكاديمياً وسلوكياً، ويشعر المبتعث بقرب الملحقية منه وتلمس حاجاته، وتصحيح سلوكه، والأخذ بيده إلى طريق النجاح في الدارين.

سابعاً: إيجاد مراكز بيانات في كل ملحقية، يبين فيها عدد المبتعثين، ومستوياتهم، ومراحلهم، وتخصصاتهم، والمخرجات لهؤلاء المبتعثين، ومن تعثر دراسياً، والمبتعث الأصل، والملحق بالبعثة، ومشاكل المبتعثين بأنواعها الدراسية والفكرية والسلوكية والاجتماعية، والتي تكون عائقاً أو حجر عثرة في دراستهم، وتعاهد هدف الابتعاث

وما درجة تحصيله في كل ملحقة، وغيرها كثير مما يلزم معرفته بدقة وإيجاد البيانات والإحصاءات له، وتفعيل دور المركز البحثية للعمل على هذه البيانات والإحصاءات، وبهذا يتحدد موقع الخل، ومن ثم يسهل علاجه والرقى بهذا المشروع الكبير وتقويمه، لكن مع الأسف الأخطاء تتوالى، والاجتهادات ارتجالية فريده.

ثامناً: إيجاد إدارة قوية للأندية الطلابية في كل ملحقة، يعمل بها طاقم من الموظفين، يكون لها الإشراف التام على الأندية الطلابية، والطلاب في كل جامعة، إشرافاً في متابعة الطالب عن قرب وحل كل مشاكله النفسية والاجتماعية والسلوكية والعقدية، ومن قبل هذه الإدارة يكون التوجيه بعقوبة أي طالب خالف ما تعهد به، من الانضباط الأخلاقي والعقدي، سواء بإنهاء بعثة المبتعث، أو إيقاف المكافأة مؤقتاً، أو إرسال الإنذار له، أو إرشاده إلى الطريق الصواب.

فهذه الإدارة متى ما فعل دورها، هي المشرف الحقيقي على المبتعث، فيما عدى الإشراف الأكاديمي، ومن ثم تتلاشى عامة المشاكل النفسية والاجتماعية والمخالفات العقدية والسلوكية.

مع سعي هذه الإدارة الجاد لتفعيل دور الأندية الطلابية بكافة صورة، الرسمي والتطوعي، وتحفيز المبتعث في المشاركة في نشاطات الأندية، وإيجاد مشرفين أو مرشدين في النوادي من أصحاب الدراسات العليا، يأخذوا بأيدي المبتعثين إلى أفضل السبل التي تسهل لهم عملية التسجيل والمتابعة والاندماج في المجتمع، مع المحافظة على عقيدتهم وسلوكهم.

كل ذلك يستلزم دعماً مادياً ومعنوياً مميزاً لهذه الإدارة، لأجل أن تقوم بدورها خير قيام.

وفي الختام، لاشك أن الابتعاث العلمي مشروع كبير له أهميته وفوائده لبلادنا وأمتنا، لكن التدقيق في اختيار المبتعثين، وبعث المتفوقين علمياً، والتميزين سلوكياً، في تخصصات لها أهميتها وحاجتها، يؤدي إلى زيادة فرص النجاح، وتحقيق أهداف الابتعاث، والتقليل من احتمال الفشل، وإن لم ينظر لذلك ويهتم به، فإن برنامج الابتعاث لا يؤتي ثماره ولا يحقق أهدافه.

وهذه الدراسة وما جاء فيها من توصيات، آمل أن تكون سبباً رافداً في تقويم هذا المشروع الكبير، وتحسس مواطن التعثر فيه والخطأ وتوجيهه إلى الصواب، سيما في أهم الركائز العقيدة والسلوك، إذ بتقويمهما ورعايتهما يعرف الهدف ويكون السعي جاداً في تحقيقه، لا يفارق المبتعث الطموح الحي، والهمة العالية، والسعي الدؤوب لرفعت وطنه وأمته ودينه.

فهرس المصادر

- أحكام أهل الذمة. أحكام أهل الذمة، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٢٣ - ٢٠٠٢م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، للإمام ابن تيمية الناشر مطبعة السنة المحمدية، القاهرة الطبعة الثانية ١٣٦٩، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- الابتعاث إلى الخارج وقضايا الانتماء والاعترااب الحضاري، للدكتور: إبراهيم بن حمد القعيد، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- الابتعاث تاريخه وآثاره، للدكتور عبد العزيز بن أحمد البداح، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ.
- الابتعاث ومخاطره، رسالة صغيرة من تأليف: الشيخ محمد بن لطفي الصباغ، كانت في الأصل بحثاً كتب للمؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة الذي عقد في المدينة المنورة في ٢٤/٢/١٣٧٩هـ الموافق ١٢/٢/١٩٧٧م.
- الأذكار، للإمام النووي، تحقيق: بشير محمد عيون، الناشر مكتبة المؤيد الطائف، الطبعة الأولى بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- التبيان شرح نواقض الإسلام، للإمام المجدد: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تأليف: سليمان ناصر بن عبد الله العلوان، طبعة دار المسلم للنشر والتوزيع.

- التعليم العالي في المملكة، بداياته وتطوره، لعبد المحسن بن سعد الداود. طبعة دار أركان للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

- تفسير ابن كثير، للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، نشر دار طيبة، عام: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربى بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة الرياض.

- الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه، د/عبد الرحيم بن صمايل السلمي، ضمن كتب الموسوعة الشاملة CD.

- حرية الرأي الواقع والضوابط، المستشار سالم البهنساوي طبعة دار الوفاء الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ .

- الدراسة في الخارج، أبعاد تنموية . تجارب دولية . خطوات عملية، للدكتور عبد العزيز بن عبد الله بن طالب. الطبعة السادسة، الرياض ١٤٢٩هـ.

- دراسة ميدانية، المشاكل التي تواجه الطلبة المبتعثين في نيوزلندا، أسبابها وسبل علاجها، من جهة نظر المشرفين والطلبة، في ضوء بعض المتغيرات، إعداد قسم الشؤون الاجتماعية، بإشراف مدير الشؤون الاجتماعية بالملحقية الثقافية في نيوزلندا، الدكتور: عبد الرحمن بن عيد الجهني. ١٤٣٣-١٤٣٤هـ.

- رياض الصالحين، للإمام النووي. تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- السنن الكبرى . للحافظ أبي بكر أحمد بن علي البيهقي. دار الفكر.

- سنن ابن ماجه. للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي المعروف بابن ماجه . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث، بيروت. طبعة ١٣٩٥هـ.

- سنن الترمذي. للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . تحقيق أحمد محمد شاكر. الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

- سنن النسائي، للإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩١، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

- شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول،
الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب المصرية، ١٤١٠هـ.

- الصحاح للجوهري، لإسماعيل بن حماد الجوهري، الناشر دار
العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.

- صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان، للإمام محمد بن حبان
التميمي البُستي، ترتيب: علي بن بلبان، الناشر: مؤسسة الرسالة.

- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري
الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير،
بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .

- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق
محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، استنبول : المكتبة الإسلامية،
١٣٧٤هـ.

- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، للإمام محمد ناصر
الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

- الطلبة المسلمون في الغرب بين المخاطر والآمال، للدكتور:
إبراهيم بن حمد القعيد، نشر مكتبة دار السلام الرياض، الطبعة الأولى
١٤١٥هـ.

- ظاهرة الابتعاث في البلاد العربية وآثارها الثقافية، دراسة نقدية
في ضوء الإسلام، رسالة ماجستير (لم تُطبع) في جامعة الإمام، للأستاذ
ضياء الدين الأنصاري، ١٤١٩هـ.

- العوامل المسببة للانحراف الفكري وعلاقتها بالإرهاب، د. علي فايز الجحني، مجلة العدل العدد ٣٩، رجب ١٤٢٩هـ .

- العولمة ماهيتها ونشأتها. العولمة ماهيتها ونشأتها، محمد بن سعيد ابن سهو أبو زعرور، طبعة دار البيارق، الأردن عمان، الأولى ١٤١٨هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، الناشر دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ.

- لسان العرب. لأبي الفضل جمال الدين بن منظور المصري. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر.

- المبتعثون السعوديون إلى كندا والتحديات العقدية، للدكتور: محمد بن حمود الفوزان، جامعة القصيم، قسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم والآداب في محافظة الرس.

_ مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، نشر: دار الوطن، دار الثريا، الطبعة: الأخيرة ١٤١٣هـ.

- المختصر في حكم الأعياد المحدثه، بحث لسمير بن خليل المالكي. ١٤٢٠هـ.

- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري،
تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت،
الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

- المصباح المنير، لأحمد محمد الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت.
١٩٨٧م.

- مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين،
لأشرف بن عبد الحميد بن محمد بارقعان، أصل الكتاب رسالة علمية،
طالعه ضمن كتب الموسوعة الشاملة CD.

- مقاييس اللغة لابن فارس. مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق:
عبد السلام محمد هارون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب،
الطبعة: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- موطأ الإمام مالك، للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد
الباقي. دار إحياء الكتب العربية.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، للعلامة المبارك بن محمد بن
الأثير الجزري. تحقيق طاهر أحمد الزاوي. دار الباز، مكة المكرمة.

- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة،
للدكتور: حاتم بن عارف بن ناصر الشريف، جامعة أم القرى مكة
المكرمة.

- الولاء والبراء. الولاء والبراء في الإسلام، د. محمد بن سعيد
القحطاني، الناشر: دار طيبة الرياض، الرابعة: ١٤١١هـ.